حديث الشعراء عن شعر شوقي
قراءة في بكائياتهم له

دكتور
حامد سعد على خضرجى جاويش
مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنين بدسوق

حديث الشعراء عن شعر أحمد شوقي قراءة في بكائياتهم له

حامد سعد على خضرجى جاويش
مدرس، الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث

لقد تفجع الشعراء بموت أحمد شوقي لما له من منزل كبرى في قلوبهم، ولما لا وهو أميرهم وصاحب فضل عليهم، وتأثير كبير على فنهم، إذ هو إمام المحافظين وزعيم المجددين، باعث الشعر بعد ضعفه، ووطني أخلص لوطنه؛ فرفع راية مجده وخلد ذكره ، ومن ثم حينما سمع الشعراء خبر وفاته أحسوا بمرارة فقده، وبالفراغ الذي كان يملؤه شوقي في دفاعه عن وطنه وغيرته على العربية ،فأخذوا يسكبون عليه الدموع والعبرات حزنا وأسى، كما أقاموا الملتقيات والمحافل تكريما له وإحياء لذكراه.

ومن البديهي في فن الرثاء أن يُرثَى الفقيد بصفاته الخُلُقية والخِلْقية؛ لذا كان من اللافت للنظر أن يركز الشعراء الباكين لشوقي على شعره وأعماله الأدبية، لاسيما أن هؤلاء الشعراء من مدارس أخرى غير التي كان يتزعمها شوقي، وكثير ما عارضوه في حياته واتهموه بالجمود، لكنهم على إثر موته ذكروا محاسن شعره واعترفوا بقيمته الفنية، فرجعوا إلى أنفسهم محافظين على ثوابت القصيدة العربية في رثائهم له، ولم يتمردوا على ذلك إلا في القليل النادر.

وخلاصة القول أن فن الرثاء من أقوى الفنون الشعرية عاطفة؛ لذا وجدنا الشعراء الباكين لشوقي قد أفصحوا عن هذا الشعور من خلال مراثيهم له، حيث جاء المعجم الشعري في تلك المراثى– عند الحديث عن شعره وموهبته الشعرية – فريدا، لقد لقبوه بألقاب ووصفوه بأوصاف لم ولن تكون إلا لأمير الشعراء أحمد شوقي.

الكلمات المفتاحية:

شوقي – شوقيا – نبي الشعر – أمير الشعراء – شاعر الكون – شاعر الدنيا– الساحر – عرش يتهدم – بكائيات – بكائياتهم– دولت الشعر– الفجيعة المخرسة – أميره وكبيره.

Poets talk about Shawqi poetry
Read their cries for him

Hamid Saad Ali Khudarji Jawish
Lecturer of Literature and Criticism, College of Studies Islamic and Arab boys in Desouk
Email: Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

Abstract: The poets were mourned by the death of Ahmed Shawky because of his great house in their hearts, and when he is not their prince and the owner of a favor over them, and a great influence on their art, as he is the imam of conservatives and the leader of the innovators, the emitter of poetry after his weakness, and my patriot is loyal to his homeland, so he raised the banner of his glory and immortalized his memory Then, when the poets heard the news of his death, they felt the bitterness of his loss, and the emptiness that was filled with my longing in defending his homeland and changing it to Arabia, so they poured tears and tears on him in grief and sorrow, and they held gatherings and forums in honor of him and to commemorate his memory.

It is evident in the art of lament that the deceased is inherited by his moral and ethical qualities. Therefore, it was remarkable that the weeping poets of Shawqi focus on his poetry and literary works, especially since these poets from other schools than the one that Shawqi was leading, and many in his life opposed him and accused him of stagnation, but they are on After his death, they mentioned the virtues of his poetry and recognized its artistic value, so they returned to themselves preserving the constants of the Arabic poem in their mourning for him, and they did not rebel against that except in a rare few.

In sum, the art of elegy is one of the strongest poetic arts with emotion. So we found the weeping poets of Shawqi to have expressed this feeling through their lamentations to him, as the poetic lexicon came in that Marathi - when talking about his poetry and his poetic talent - Farida.

key words:Shawky - Shawqia - the prophet of poetry - the prince of poets - the poet of the universe - the poet of the world - the magician - a throne collapsing - weeping - their cries - the state of poetry - the bereaved bereavement - his princess and his elder.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي كتب لنفسه البقاء السرمدي، وأوجب على خلقه الفناء الحتمي والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد....

فقد يصرف الباحثون نظرهم عن البحث في الجوانب الشعرية عند مشاهير الشعراء كشوقي؛ لكونه قد درس من جميع النواحي لشهرته، وهذا التعليل قد يؤدى إلى إغفال جانب مهم يتوجب دراسته كحديث الشعراء عن شعر (شوقي) في رثائهم له.

لقد كان خبر وفاة (شوقي) كصاعقة، وفاجعة كبرى أصابت لب محبيه – خاصة الشعراء– فأحسوا بمرارة الفقد، ولوعة الحرمان، لغياب فارس من فرسان العربية، وعلم من أعلم الشعر العربى، ووطني محب لوطنه غيور عليه، حافظ طيلة حياته على الهوية العربية، وجاهد جهادا مريرا ضد أعدائها، الذين يريدون طمسها والنيل منها، ومن ثم تبارى الشعراء المعاصرون والمواكبون لحدث وفاته قصائدا فأبدعوا روائعهم في رثائه وتكريمه، وسكبوا العبرات، وأخرجوا الآهات والزفرات.

لقد وضع الباحث هذه القصائد الباكية لشوقي نصب عينيه ؛ فلفت نظره حديث الشعراء عن شعر(شوقي)، وموهبته وأعماله الشعرية، وهو أمر ثانوي؛ لأن الراثين عادة ما يركزون على صفات المرثى الخُلُقية والخِلْقِية، كما يركزون على وطنيته وقوميته، لاسيما إذا كان المرثى شخصية مرموقة على الصعيد المحلى والدولي ؛فقد يكون السبب من وراء ذلك كونه أميرا للشعراء، وما له من بصمة واضحة في الشعر، كما يعد عاملا من عوامل ازدهاره، وباعثا من بواعث قوته بعد ضعفه، كل هذه أسباب ظاهرة قد تبدو لأول وهلة، لكن ما إن علمنا أن معظم الراثين له من التيار الرومانسي وجماعة أبولو،

والمهجريين، وهم من دعاة التجديد والتخلص من قيود الكلاسيكيين والمحافظين، ثم يعجبهم شعره بعد موته ويشهدون بنبوغه وأنه أنموذج يحتذى، ويرون القصيدة العربية قد يُتّمت واحتضرت بعد موته، أمر فيه مفارقة كبيرة، وتحول يدعو إلى الدهشة، يثير الانتباه، ويحفز على البحث والتنقيب، هذا السبب الخفي استدعاني للتفتيش في هذا الجانب؛ ولذا جعلت عنوان البحث **(حديث الشعراء عن شعر شوقي قراءة في بكائياتهم له).**

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة :

أما المقدمة : فقد أبنت فيها دافع اختياري لهذا البحث، ثم أوضحت أهميته في حقل الدراسات الأدبية، والتخطيط الذي احتواه .

وفي التمهيد : تحدثت عن نبأ وفاة (شوقي)، ثم تحدثت عن علاقة أبولو به، ثم ذكرت أهم المراثى التي رثى بها .

وجاء **القسم الأول :** ليتحدث عن المعانى والمضامين ويشتمل على ثلاث محاور:

الأول: حديث الشعراء عن موهبة شوقي الشعرية

الثاني: حديث الشعراء عن القضايا الموضوعية والآثار الفكرية في شعر شوقي

الثالث: حديث الشعراء عن الخصائص الفنية في شعر (شوقي)

ثم تناولت في **القسم الثاني** :التقويم الفني والنقدي ويشمل ما يلي:

أولا: المعجم الشعرى:

ثانياً: أهم الظواهر الأسلوبية

ثالثا: الصورة الشعرية:

رابعاً: كلمة في الإيقاع

وتأتي **خاتمة** هذا البحث لتسدل الستار عليه بعد أن عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

تمهيد

فاجعة موت شوقي:

نبأ الموت له أثر بالغ على النفوس لأنه خطب عظيم، لاسيما إذا كان متعلقًا بشخصية عظيمة لها تأثير فاعل على المجتمع المحيط، ومن هنا استمد فن الرثاء أهميته الكبرى في أدبنا العربي، حيث أثرى الشعراء الساحة الأدبية بموفور شعورهم الصادق، الذي يدفعه الحب الشفيف، والوفاء الخالص لمن رحل عن دنياهم من أهل وعشيرة وغيرهما ؛ ولهذا فإن الرثاء هو فن العاطفة الأول، فالشاعر حينما يرثى أحدا لا ينتظر على رثائه جزاءً ولا شكوراً، وإنما كان الباعث له ، أو الدافع له- غالبا- هو الوفاء الخالص، والشعور النبيل نحو من فقد، أيّاً كانت علاقته به، إذن الرثاء يدل على قوة الرابطة بين الراثي والمرثي بعيداً عن المصالح والمنافع الشخصية .

لقد كان نبأ موت أمير الشعراء(شوقي) كالصاعقة على قلوب الجميع، حيث تفجرت العيون عليه بالبكاء وتبارى الكتاب والشعراء في شتى أقطار البلاد العربية يرثونه سواء أكانوا مسلمين أم أقباط، مشايعين له أم منافسين، كما أقيمت حول نتاجه العديد من الدراسات الأدبية والنقدية .

رحل(شوقي)عن عالمنا تاركا وراءه ثروة أدبية عظيمة، جاهد في سبيل وطنه بفكره وشعره فلاقى على إثر ذلك الأمرين، حتى نفى وغرب بعيدا عن وطنه عام (١٩١٥م) حيث مكث خمس سنوات، ثم امتدت يد الموت لتخطف روحه في فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر عام (١٩٣٢م)، ومنذ وفاته وقد أحس الأدباء بمرارة فقده و بالفراغ الذي كان يملؤه (شوقي) في دفاعه عن وطنه وغيرته على العربية فأخذوا يسكبون عليه الدموع والعبرات حزنا وأسى ويقيمون الملتقيات والمحافل تكريما له وإحياء لذكراه، وكثيرًا ما اجتمع الشعراء المعاصرون حول قبره يبكونه ويرثونه، ظهر ذلك جليا على صفحات مجلة أبولو وغيرها.

أبولو ورثاء شوقي :

لقد شاء الله (عزوجل) أن يموت زعيما حركة الإحياء الشعري العربي– (حافظ إبراهيم) و(شوقي) في العام ذاته الذي شهد مولد جمعية أبولو بمجلتها المتميزة التي كانت منبراً لأصوات الحركة الشعرية العربية الجديدة ، فعلى صفحات هذه المجلة نقرأ قول (هاشم عبد الحي) في رثائه لشوقي :

لك الله يا مصر كل يوم مصاب فمتى يأذن الأسى بانتهاء

ما فرغنا من يوم (حافظ) حتى مات شوقي .... فيا لهول القضاء ![1]

لكن ما علاقة شوقي بهذه الجمعية؟

لحاجة في نفس يعقوب طلبت جمعية أبولو من(شوقي)أن يكون رئيساً لها وأن يخلع عليها البركة، فاستجاب لهم زعيم المحافظين وقبل رئاسة جمعية (أبولو) وكتب قصيدة نشرت في العدد الأول من مجلتها الصادر في سبتمبر عام ١٩٣٢م، ولعلها من أروع ما نظم من شعره، كما أشرق العدد بصورة كبيرة لشوقي كانت على الصفحة المقابلة بأكملها أسفل هذه الصورة وكان توقيعه تحت عبارة إهداء إلى مجلة أبولو، وكان مطلع القصيدة :

أبولو مرحبا بك يا أبولو فإنك من عكاظ الشعر ظله[2]

ولا يخفى أن هذا المطلع خادع ماكر أخرج لنا ما في مكنون نفس شوقي حيث إنه أراد أن لا يخرج هؤلاء الشباب من تحت عباءة المحافظين، في الوقت ذاته لم تكن تلك وجهتهم بل أرادوا أن ينطلقوا من تحت مظلة زعيم المحافظين؛ ليحموا أنفسهم من هجوم المحافظين، وأن يقيموا نوعا من العلاقة التي ينبثق فيها الجديد من القديم دون صراعات مؤلمة من هجوم المحافظين، لكن مشيئة الله كانت شيئاً آخر حيث لم يمهل القدر زعيم المحافظين قليلاً فبعد أن خرج العدد الأول إلى النور بأقل من شهر رحل شوقي في فجر يوم

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٤.

(٢) تحولات شعرية – د /جابر عصفور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ٢٠٠٧م: صـ ٤١ .

الجمعة الربع عشر من أكتوبر سنة ١٩٣٢م، بعد أن ترأس أول اجتماع لمجلس إدارة الجمعية (مساء الاثنين العاشر من أكتوبر) بأربعة أيام على التحديد(١).

شارك شباب أبولو في جنازة المرحوم شوقي وحملوا نعشه وساروا به إلى أن غيبوه في قبره وسط حشد كبير وجنازة مهيبة ، ولعل في هذه المشاركة دلالة رمزية ألا وهى تولُّد الحي من الميت، المستقبل من الماضي، ومن المصادفات العجيبة أن الشاعر على محمود طه وهو شاب من هؤلاء الشباب شرع في نظم قصيدته التي عنون لها (بميلاد شاعر) كان قد شرع في نظمها عقب أول اجتماع لشوقي مع جمعية أبولو، تلك القصيدة التي غدت من أروع قصائده، والتي نشرت في العدد الذي رثى فيه أحمد شوقي وهى تمثل وتجسد النموذج الصافي الرومانسي(٢).

وعلى كل فقد شارك هؤلاء الشباب أيما مشاركة في رثاء رئيسهم أمير الشعراء، كما أسهموا في الاحتفال بذكراه في اليوم الأربعين من وفاته، وكان ذلك في المجلد الرابع في العدد الثاني الذي صدر ديسمبر عام ١٩٣٢م حيث استهل أبو شادى هذا العدد بتقرير حث الجمعية على الحق والإنصاف في مقام الذكرى الطيبة بعيداً عن الهوى ومجاملة الأسرة ثم قاموا بتوزيع هذا العدد على الحاضرين(٣).

أهم المراثى التي رثى بها شوقي :

ما إن سمع الأدباء بموت شوقي حتى هبوا لتأبينه يبكون الدموع الغزار حزنا على فقيدهم، حيث ظهرت على صفحات المجلات العديد من المراثي منها ما هو مقالات نثرية، وذلك مثل: مرثية رئيس تحرير الجهاد وهى لمحمد

(١)المصدر السابق : ٤١ – ٤٦ .
(٢)المصدر السابق : ٤٩ .
(٣) تحولات شعرية: ٥٣ .

توفيق دياب[١]، ومرثية رئيس تحرير البلاغ[٢]،ومرثية الدكتور/ على العناني، ومرثية السيد التفتازانى، ألقيتا على قبر الفقيد[٣]، ومنها ما هو شعري موضوع البحث.

لقد رثاه كثير من الشعراء مصريين وغير مصريين، مسلمين وغير مسلمين من مدارس شتى، وما وقعت عيني إلا على سبع وعشرين قصيدة من جيد الشعر، لثلاثة وعشرين شاعراً مجيداً، وهم:

الشاعر(أحمد زكى أبو شادى)، الذي رثاه بقصيدة عنوانها (تأبين الفقيد يوم الوفاة) ومطلعها:

أهذا الجسم الذى كان إنسانك أهذا هو الكنز الذى عد جثمانك ؟[٤]

وقد رثاه الشاعر الدكتور(إبراهيم ناجى) ،بقصيدتين الأولى بعنوان (مرثية الدكتور ناجى) وقد ألقها على قبره، ومطلعها:

قل للذين بكوا على (شوقي) النادبين مصارع الشهب[٥]

والثانية بعنوان (هبة السماء) ومطلعها :

راحوا بأرواح ظماء يتهافتون على الفناء[٦]

أما الشاعر(الصاوي على شعلان) فقد رثاه بقصيدة عنوانها (الصبح الداجي)، ومطلعها:

سبق الصباح إلى المغيب مبكراً من ذا رأى شمسا تغيب صباحاً ؟[٧]

---

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول : ٣٣٠ .
(٢) السابق : ٣٣٢ .
(٣) السابق :٣٣٤- ٣٣٦ .
(٤) السابق : ٣٢٩ .
(٥) السابق : ٣٣٥ .
(٦) السابق : ٤٧٨ .
(٧) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول : ٤٧٥ .

وكذلك رثاه الشاعر(محمود أبو الوفا) بقصيدة عنوانها (قبر العبقرية)، وقد ألقيت عند ضريح الفقيد في الجمعة الأول لوفاته، ومطلعها :

طوفوا بقبر العبقرية وانشقوا أرج الخلود الساطع الفواح(١)

كما رثاه أيضا الشاعر(طلبة محمد عبده) بقصيدة عنوانها (وقفة على قبر شوقي)، وقد ألقيت في اجتماع الشعراء والأدباء يوم الجمعة الأولى لوفاته، ومطلعها :

أسرة الشعر وحراس الأدب قدموا اليوم ليقضوا ما يجب(٢)

وأيضا رثاه الشاعر (حليم دموسى) بقصيدة عنوانها (إلى شاعر الخلد) ناحت عليك أبولو!.. ومطلعها :

ما أطلعت مثل شوقي أمة العرب شمس من الشرق فوق السبع الشهب(٣)

كما رثاه الشاعر (خليل مطران) بقصيدة عنوانها (النيل الخالد)، ومطلعها :

عجبا !أتوحشنى وأنت إزائى وضياء وجهك مالئ سودائي(٤)

أما الشاعر (معروف الرصافى) فقد رثاه بقصيدة عنوانها (الشعر بعد كبيره وأميره)، ومطلعها :

الشعر بعد مصاب بكبيره في مصر جل مصابه بأميره(٥)

ورثاه أيضا الشاعر (بشارة الخورى)، بقصيدة تحت عنوان (في ربى الخلد)، ومطلعها:

قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره فسدرة المنتهى أدنى منابره(٦)

---

(١) السابق : ٤٧٥ .
(٢) السابق : ٤٧٧ .
(٣) السابق : ٤٨٥ .
(٤) السابق : ٤٨٧ .
(٥) السابق : ٤٩١ .
(٦) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول : ٥١٢ .

ورثاه أيضا الشاعر (محمد سليمان الأحمد)المعروف بـ (بدوى الجبل) بقصيدة عنوانها (شاعر الدنيا)، ومطلعها :

لا الأمس يسلبك الخلود ولا الغد هيهات أنت على الزمان مخلد[١]

أما (هاشم عبد الحي)، فقد رثاه بقصيدة عنوانها (شاعر الكون)، ومطلعها :

شاعر الكون عز فيك عزائي كيف مثلى يفيك حق الرثاء ؟![٢]

كما نجد الشاعر(محمد عثمان محجوب) ينظم قصيدة في رثاء شوقي عنوانها (نبي الشعر)، مطلعها :

جل الإله (أبولو) في مراقيه وجل من جبل (الأولمب) كرسيه[٣]

ورثاه الشاعر (محمد فريد عبد القادر) بقصيدة واحدة، جاءت بعنوان (أمير البيان)، ومطلعها :

احتفى التاريخ بالسفر الجليل مرجع الآداب من جيل لجيل[٤]

كما رثاه الشاعر(محمود غنيم)بقصيدة عنوانها (عرش يتهدم)، ومطلعها:

ثل عرش القريض من أركانه وتخلى كسراه عن إيوانه[٥]

أما الشاعر (فرحات عبد الخالق)، فقد رثاه بقصيدة عنوانها (الفجيعة المخرسة).

أحقا قد رمى الموت في مصر شوقي فروع من موته كل شرقي؟[٦]

وكذلك رثاه الشاعر (عبد الغنى الكبثى)، بقصيدة عنوانها(موت الشاعر) ومطلعها:

---

(١) السابق: ٥١٦ .
(٢) السابق :٥٢٤.
(٣) السابق : ٥٢٥ .
(٤) السابق : ٥٢٨ .
(٥) السابق : ٥٣٠ .
(٦) السابق : ٥٣٣ .

آه ما أجملها كانت حياتي إنها ملأى بأشتات الفنون[١]

ورثاه أيضا الشاعر (مصطفى كامل الشناوى) بقصيدة واحدة، جاءت بعنوان (معجزة الشعر)، ومطلعها :

ملأ الحياة ترنما وهديلا وقضى فروعها بكى وعويلا[٢]

كما رأينا الشاعر(مختار الوكيل) يرثيه بقصيدة عنوانها (حلم تعجل)، ومطلعها:

فارق الروض مسرعا يتعجل لم يقف لحظة ولم يتمهل[٣]

ونجد الشاعر(إلياس أبو شبكة)يرثيه بقصيدة عنوانها (شاعر الإنسانية)، ومطلعها:

لا لقوم ولا لدين أنت للناس أجمعين ![٤]

وكان نصيب الشاعر (إبراهيم زكى) ، في رثائه قصيدة واحدة عنوانها (الساحر)، ومطلعها:

أرسلوا الدمع واذرفوه سخيا واندبوا اليوم شاعراً عبقريا[٥]

وأما الشاعر (محمود حسن إسماعيل)، فقد رثاه بقصيدة واحدة من الشعر الحر عنوانها (مأتم الطبيعة)، ومطلعها :

أطرق الطير على هام الغصون كذبيح نغرت فيه الكلام[٦]

كما رثاه الشاعر (على الجارم) بقصيدة مطولة، وألقيت في حفل مهيب أقامته الحكومة المصرية بدار الأوبرا عام ١٩٣٢م، وحضر هذا الحفل عدد من الشعراء والقامات العربية، وكان عنوانها (رثاء شوقي)، ومطلعها :

---

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول: ٦٠٤ .
(٢) السابق: ٦٠٧ .
(٣) السابق : ٦٠٩ .
(٤) السابق : ٦١٦ .
(٥) السابق : ٦١٨ .
(٦) السابق : ٦١٩ .

هل نعيتم للبحتري بيانه ! أو بكيتم لمعبد ألحانه[١]

وكذلك رثاه الشاعر (محمد عبد المطلب)، بقصيدة عنوانها (في تكريم شوقي) مطلعها:

تأوبنى والليل بالصبح مزعج خيال له في حندس الهم منهج[٢]

كما نشر موقع الرأي نشرة (لمحمد أبوصوفة)[٣] متضمنا ثلاث قصائد وهى:

القصيدة الأولى للشاعر عبد الفتاح الحديدي وهو شاعر أردني ومطلعها:

نعاك البرق يا شوقي فسالت دموع القلب وانكدر الضياء[٤]

أما الثانية فهى لشاعرة أردنية . أيضا. لم يصرح باسمها ومطلعها :

ذرفت عليك دموعها الشعراء ورثوك لو يجدي القصيد رثاء[٥]

والثالثة للشاعرة (رهب عبد الهادي) وهى شاعرة أردنية أيضا ومطلعها:

لهفي على شوقي أديب زمانه ومن ازدهت بفخاره العلياء[٦]

هؤلاء هم الشعراء وتلك هي القصائد التي جمعتها واعتمدت عليها في هذه الدراسة.

والملاحظ على عناوين القصائد السابقة أن بعضها يدل على الحزن الشديد والتفجع والتوجع على فقد شوقي، بينما نجد البعض الآخر يدل على ندب الشعر وشاعرية شوقي، وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

---

(١) ديوان على الجارم – الطبعة الأولى، والثانية : ١٩٨٦م – ١٩٩٠م – دار الشروق: ٢٩٧ .

(٢) ديوان محمد عبد المطلب –شرح وتصحيح / إبراهيم الإبيارى– وعبد الحفيظ شلبي الطبعة الأولى د.ت– مطبع الاعتماد : صـ ٦٣

(٣) وهو باحث أردني – نشر هذا البحث– موقع الرأى – بتاريخ ٣– ٥– ٢٠١٧م .

(٤) نشرة محمد أبو صوفة – موقع الرأى– بتاريخ : ٣– ٥– ٢٠١٧م : صـ ١ .

(٥) السابق : ٢ .

(٦) السابق : ٣ .

- **حديث الشعراء عن موهبة شوقي الشعرية :**

إن من يستعرض حياة شوقي يجد أنه قد تهيأ له من أسباب النبوغ والتفوق – بيئة وعوامل – ما لم يتهيأ لغيره من شعراء عصره، مما كان لذلك كبير الأثر في تفوقه عليهم، ولقد تحدث الشعراء في مراثيهم له عن هذه الموهبة الفذة، فمن يتأمل في عناوين بعض هذه المراثي يجدها تحمل دلالات هذه الموهبة ومدى اعتراف الشعراء الذين كانوا بالأمس ينافسونه بهذه العبقرية، بل كان منهم من يتهمه بالجمود، فنجد مثلا مرثية تحمل عنوان (قبر العبقرية)، وأخرى تحمل عنوان (هبة السماء)، وثالثة يعنون قائلها بـ (شاعر الخلد)، و (شاعر الدنيا)، و (وشاعر الكون)، و (نبي الشعر)، و (أمير البيان)، و (الساحر)، (معجزة الشعر) و (شاعر الإنسانية) وغيرها، ومع هذه الدلالات إشكالية أخرى وهو تجاسر هؤلاء الشعراء حيث وضعوا عناوينا لتلك القصائد التي أصبحت بعد ذلك إحدى السمات الجمالية التي تميزت بها القصيدة العربية المعاصرة، بعد أن كانت القصيدة القديمة تأتى غفلا من أي عنوان، وربما كان السبب في ذلك تشعب الموضوعات والقضايا داخل القصيدة القديمة لتنسجم مع متطلبات عمودية الشعر وتقاليده، فعلى أية حال لقد ظلت القصيدة العربية تأتى غفلا من العنوان، أو يعنونون ببعض المفردات الواردة فيها، أو ببعض أشطارها، وذلك حتى عهد شوقي وجيله من رواد الكلاسيكية المجددة، حيث خلت دواوينهم من العنوان، فديوان شوقي نفسه جاء يحمل عنوانا باسم شوقي (الشوقيات) لا يدل على شيء من الشعر الوارد فيه، لكننا نرى هؤلاء الرومانسيين الراثين لشوقي يضعون مثل هذه العناوين التي أشرت إليها من قبل، وهم لم يضعوها اعتباطا، وإنما اختاروها بعد تأمل وإعمال ذهن، فلربما أرادوا أن يأتي العنوان دالا بشكل واضح على ما يريدون استنفاره في المتلقي .

لقد تحدث الشعراء في مراثيهم لشوقي عن موهبته بشكل مباشر وغير مباشر، وكيف أن هذه الموهبة قد بوأت لشوقي مكانة عالية وحفرت اسمه في

ذاكرة الزمان، فهذا زعيم مدرسة المجددين (أحمد زكى أبو شادي) ينعى شوقي مؤكدا على تلك المكانة وهذه الموهبة التي كان ينعم بها ضمن مواهب أخرى كثيرة فيقول :

مواهب شتى إن غررت بقدرها ... وأكبرت من التفرد بنيانك
فهل أنت إلا آدمي وإن تكن ... عظيما، وقد أثقلت في الحكم ميزانك
حكيم بشعر لا بحسن سياسة ... لذلك قد ضاعفت في العيش أحزانك
فنم هانئا، بل طف بدنيا جديدة ... من الشعر وانظر في خلودك شهبانك
وخل لنا في حكمة الموت هذه ... كثيرا من الأعمال ما كن شغلانك
يحد جريئا من تحداك كي يفي ... إلى الأدب العالي بما فات حسبانك
فهذا وهذا وحده صدق همة ... وإلا فلقن راحة النوم أجفانك[1]

فنجد أبا شادي يؤكد على هذه المواهب التي كانت سببا في غبن الحاقدين والحاسدين لشوقي،ولكن هذا لم يقلل من شأنه ولم يحط من قدره، بل على عكس ذلك فقد كثر مع الأيام محبيه ومتذوقي شعره وأدبه، فقديما قال أبو تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود[2]

ومن ثم نجد أبا شادي يذكر أن شوقي قد عرف بإتقانه للشعر وحسن نسجه له؛ فكانت شهرته بذلك أكثر من كونه سياسيا بارعا له ثقله في القصر الملكي،إنها الموهبة وحب الإتقان للشعر الصادق، والفن الرائع في مقابل دنيا السياسة والشهرة الزائفة، كما نجد المعنى ذاته في قصيدة (قبر العبقرية) للشاعر محمود أبو الوفا، فيقول :

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٢٩ .
(٢) شرح ديوان الحماسة – لأبى الفرج الأصفهاني ، ت– غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م ، صـ : ٢٩٤ .

طوفوا بقبر العبقرية وانشقوا أرج الخلود الساطع الفواح
طوفوا به وتنسموا من روحه ما كان من نبل به وسماح
يثوى هنا شوقي الذي لو يفتدى لفداه خير الناس بالأرواح
شوقي يزاملك الخلود بنوره والذكر كل عشية وصباح
سيظل اسمك للبيان كأنه في جبهة الأيام نجم ضاح[1]

فتلك هي العبقرية التي كانت سببا في خلود أحمد شوقي في ذاكرة الزمان وسمعه كأمير للبيان،وهو أمر في غاية الوضوح والجلاء، كوضوح النجم في حلك الليالي،فالشاعر الموهوب يحيه شعره، ويبعثه للحياة بعد موته،والمعنى ذاته جاء على لسان الشاعر مصطفى كامل الشناوي حيث يقول:

ملأ الحياة ترنما وهديلا وقضى فروعها بكى وعويلا
وطوي الحمام صحيفة الأدب المني ع به، وأغمد سيفه المسلولا
الساحر الفنان ينقذه سحره بين القلوب محبَّبا مقبولا
والشاعر الموهوب خلَّده شعره أما، وغذَّى أنفسا وعقولا[2]

وعلى نغمات هذه السيمفونية الباكية، وهذا الهديل الحزين الذي يدل على اعتصار القلب حزنا لانقضاء هذه الموهبة التي ملأت الدنيا شعرا وفنا خالدا في ذاكرة الزمان وسمعه ؛ يوضح الشاعر أن تلك الموهبة هى التي جعلت أحمد شوقي حيا بين الناس وإن كان قد مات، حيث يذهب الفنان الموهوب بجسده ولا تذهب ذكراه ، لا سيما إذا كان فنا هادفا ينفع الناس فيمكث في الأرض، ضاربا المثل في ذلك بالساحر الذى تعلم السحر لينقذه من الهلاك، ليس هذا فحسب بل أفرزت هذه الموهبة نتاجا شعريا كان وقودا

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٧ .
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦٠٧ .

وغذاء للعقول على مر الأيام والسنين؛ولهذا آثر التعبير بلفظة (غذّى) ليدل بها على هذا الخلود فلا حياة دون غذاء، ولو استبدلها بلفظة (متّع) لكان أمرا وقتيا لسرعة انقضاء المتعة مهما بلغت؛ لذا فهو خالد بشعره الذى يسلمه للأجيال جيلا بعد جيل، ومن ثم استدرك بقوله (أمما)، وعلى هذا المنوال جاء قول الشاعر عبد الفتاح الحديد الشاعر الأردني :

أمـــير الشـــعر...والأيام تـــترى يعطـــر ذكـــركم فيهـــا الثنـــاء
بنيـــتم للعروبـــةِ صـــرح مجـــدٍ لرفعتـــهِ تصـــافحه الســـماء
هـوى مـن جـو مصـر اليـوم نجـمٌ وأصـبح في الـتراب لـه ثـواء
سـقاك المـزن يـا شـوقي صـباح وأحيـا روض مثـواك المسـاء
وعـش.. فالـذكر للإنسـان عمـرٌ يقـرب منـه مـا أقصـى الفنـاء[1]

فالشاعر يقرر أن الثناء الجميل بسبب الإخلاص للفن الهادف يحيى ذكر الإنسان بعد موته متأثرا في ذلك بقول شوقي في رثائه لمصطفى كامل:

المَجدُ وَالشَرَفُ الرَفيعُ صَحيفَةٌ جُعِلَت لَهَا الأَخلاقُ كَالعُنوانِ
وَأَحَبُّ مِن طولِ الحَياةِ بِذِلَّةٍ قِصَرٌ يُريكَ تَقاصُرَ الأَقرانِ
دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَثَواني
فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَها فَالذِكرُ لِلإِنسانِ عُمرٌ ثانِ[2]

ومن النماذج الدالة على تخليد الشعر لشوقي بسبب تجويده وإخلاصه له، قول محمود غنيم :

مـات شـوقي ففـي سـبيل المعـالي مهجـة قـد أسـالها في بيانـه
ليس شعرا ما ليس ينحته الشا عـر نحتـا مـن قلبـه وجنانـه

(١) نشرة محمد أبو صوفة – موقع الرأى– بتاريخ : ٣– ٥– ٢٠١٧م : صـ ١ .
(٢) ديوانالشوقيات – لأحمد شوقي – دار العودة بيروت عام ١٩٨٨م – المجلد الثاني– الجزء الثاني : ١٥٨.

كـل بيـت لشـاعر قطـرة مـن دمـه قـد تـدفقت مـن لسـانه
مـات شـوقي وخلدتـه القـوافي أطلقـوا عليـه مـن ديوانـه[1]

لقد مات شوقي بعد أن ذابت نفسه في شعره، وخالط نفسه ودمه، وأخلص له حتى خرج من قلبه ووجدانه، فأصبح صورة مشرقة لشخصيته، ومرآة عاكسة لنفسيته، فكل بيت من الشعر قطعة من نفس قائليها، ووليده الشرعي، ومن لم يأت من الشعر على هذه الشاكلة يكون به عورا؛ لأنه فقد المصداقية، إذ كيف يؤثر الشاعر في غيره ما لم يكن متأثرا بما يقول، وعلى هذا فمن أراد أن يتعرف على شخصية شوقي فليقرأ وليطالع في ديوانه؛ ولهذا فقد خلدته قوافيه وصار في الناس حيا وإن فارقهم بجسده وقديما قيل: **(قد مات قوم وهم في الناس أحياء)**[2]، فأهم ما كان يميز تجربة شوقي الشعرية صدق العاطفة؛ لذا نجد الشاعر محمود غنيم يقول في القصيدة السابقة ذاتها:

شـاعر لم يقـف ببـاب أمـير آمـلا أن يصـيب مـن إحسـانه
لا يقـول القـريض زلفـى، ولكـن هـو فـن يـوحى إلى فنانـه
لا رعـى الله مـن يتـاجر بالشـع ر ويرضـى بـالبخس مـن أثمانـه
إن حـرص الفـتى علـى فنـه مـن بعض حرص الفتى على إيمانه! [3]

يشير الشاعر إلى عدم تكسب (شوقي) بشعره، فلم يثبت أنه وقف بباب أحد أملا في عطائه، إيمانا منه بأنه مهما كان العطاء ومهما كانت المكاسب سواء أكانت مادية أم معنوية ؛ فهي من أبخس الأثمان في مقابل

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٣٢ .
(٢) هذا الشطر من البيت منسوب لابن عبد الله البربري – راجع كتاب صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال تأليف – محمد حسين المهدي – دار الكتب – عام ٢٠٠٩ م : ٢/ ٨٢ .
(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٣٢ .

مهجة قلبه وثمرة فؤاده، إذ كان(شوقي) يقول ما يؤمن به، وما يشعر فيه بالصدق إيمانا منه بأن حرصه على فنه جزء من إيمانه بربه .

و إيمانا من الشعراء بموهبة(أحمد شوقي)الشعرية، وحرصهم الشديد على إبراز ذلك في بكائياتهم له، نجدهم يخلعون عليه ألقاباً كثيرة دالة على ذلك، فكانوا يكثرون من التحدث بها بعد وفاته، وقلما ينظمون قصيدة في رثائه لا يذكرون فيها تلك الألقاب، بل يكررون ويذكرون أكثر من لقب في القصيد الواحدة، فلقبوه بأمير الشعراء، وأمير البيان، وأمير القوافي، وشاعر الدنيا، وشاعر الكون، وأبى الشعر، فها هو الشاعر (محمد فريد عبد القادر) يقول :

يا أمير الشعر هل يأسى الذي ساهم الأبطال في المجد الأثيل
إنما الروعة فينا والأسى ما لنا نحو التأسي من سبيل[1]

ينادى الشاعر شوقيا قائلا له لا تثريب عليك اليوم لأنك شاركت الأبطال في بناء الأوطان مجداً وسؤددا وساهمت بشعرك كما ساهموا بأسلحتهم، فالفزع والجزع لنا لافتقادنا إياك، فليس لنا سوى الصبر من سبيل، كما نجد (هاشم عبد الحي) يصدح بذلك في قصيدته شاعر الكون فيقول:

يا أمير البيان نظما ونثرا وسرى الخيال خلف المرائي
لك روح كم حلقت في علاها وصلت بيننا وبين السماء[2]

ينادى الشاعر شوقيا وكأنه حي فينا إذ النداء لا يكون إلا للأحياء، فيدعوه بأمير البيان ليس في النظم فحسب بل في النثر كذلك، ثم يشيد بموهبته الخلاقة التي كانت باعثا من بواعث الشعر وعاملا من عوامل نهضته، فيصنع الخيال وكأنه مرئي، وينظم المعاني وكأنها حية تنبض، وكيف لا وهو رائد مدرسة البعث والإحياء، فلا خلاف بين النقاد أن نهضة

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٨.
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٤.

الشعر كانت على يديه، وهذا ما أكد عليه الشاعر محمود غنيم في قصيدته (عرش يتهدم) حيث يقول :

جاء شوقي فوجه الشعر أنى شاء كالفلك في ربانه

فكأن القريض كان عيا وهو قد حل عقدة من لسانه(١)

يشير الشاعر إلى المرحلة التي كانت قبل شوقي، وما أصاب الشعر من وهن وضعف وتصنع، حيث جاء شوقي فوجه الشعر وبعثه من رقدته وقوم اعوجاجه هو ورفاقه من رواد الكلاسيكية، محاولين إحياء الشعر وبعثه من سباته؛ لذا نجدهم يدعونه بأمير القوافي كما جاء في قول محمود غنيم في القصيدة السالفة الذكر:

أيها الموت ! من نعيت ؟ رويدا كاد قلبي يكف عن خفقانه

حين قالوا : قضى أمير القوافي حل يوم الحساب قبل أوانه

لا روى النيل بعد شوقي حزينا قلبه لا يسيل من أجفانه(٢)

لقد فجع الشاعر في (شوقي) ؛ لدرجة أن قلبه كاد أن يتوقف عن خفقانه من شدة الخطب ومن هول المصاب، بل يرى أن القيامة أوشكت لفقد صاحبه، ونلاحظ أن البيت الثالث ذكر فيه الشاعر (النيل –وشوقي)، وكأنه أراد أن يربط بينهما، فإذا كان النيل هبة مصر، فشوقي بشاعريته وقوافيه هبة أيضا وهبها الله لمصر وأهلها، وهذا ما يسمى بالمعادل الموضوعي، حيث عادل الشاعر بين شوقي والنيل، ليس في هذا الموضع فحسب بل في مواضع أخرى كثيرة عند الشعراء، كما نجد بعض الشعراء يطلقون عليه في رثائهم له (شاعر الدنيا)، حيث جاء ذلك في قصيدة محمد سليمان الأحمد المعروف بـ (بدوى الجبل)، فيقول:

يا شاعر الدنيا لقد أسكرتها ماذا تغنيها وماذا تنشد ؟!

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٤ .

(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٣٠.

خفــت بزينتهــا إليــك مشــوقة ســكرى تــداعب كأســها وتعربــد

وجلــت علــى الشــعراء قبلــك لكـن أراك شـهدت مـا لم يشـهدوا[1]

الشاعر في الأبيات السابقة يرى أن شوقيا من أقدر الشعراء على فهم الدنيا حيث تجلت له وانفتحت على ما بها من دفائن حينما نظر إليها بعينه الشاعرة، وتعرف على عوالمها؛ فتأتى له ما لم يتأت لغيره من الشعراء، فزادت خبرته واتسعت شهرته، أما غيره من الشعراء وإن كانوا أفقه بالدنيا من غيرهم– مما لم يقدر لهم موهبة الشعر– إلا أن شوقيا شهد ما لم يشهدوا وعلم ما لم يعلموا، ومن ثم فقد استحق عن جدارة لقب (شاعر الدنيا)، و(شاعر الكون)وغيرها من الألقاب التي خلعها الشعراء عليه خلال مراثيهم له، كما أطلقوا عليه أيضا (دولة البيان)، حيث جاء في قول الشاعر محمود غنيم :

ثل عرش القريض من أركانه وتخلى كسراه عن إيوانه

وطوي الموت دولة من بيانه لم يشهد الرشيد في بغدانه[2]

فالشاعر يرى شوقياً ملكاً متوجاً ومتربعاً على عرش دولة الشعر، لكن يد الموت امتدت لتقوض هذا البنيان وتهدم ذاك العرش، وتخطف كسراه – يعنى شوقي–الذي جعل من مصر واحةً للأدباء، ومسرحا للشعر والأدب، فأحدث فيها طفرة أدبية، تلك الطفرة لم تشهدها بغداد عاصمة الأدب في عصر هارون الرشيد راعى الآداب في عصره حتى أضحى عصره من أزهى العصور الأدبية، ومن ذلك أيضا قول (إبراهيم ناجى) في رثائه لشوقي :

قل للذين بكوا على (شوقي) النادبين مصارع الشُّهب

والهفتاه لمصر والشــرق ولدولة الأشعار والأدب![3]

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥١٧.

(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٣٠.

(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٣٥ .

وأيضا كما نجد الشعراء في إطار حديثهم عن موهبة أحمد شوقي الشعرية يرونه مجدا لمصر والشرق الأوسط، كما يرونه دولة للأشعار والأدب، فينسبون الفضل لأهله، ويشهدون بعبقريته وفضله على الشعر والشعراء، فهو حالة فريدة، وتجربة شعرية نادرة، فلا يمكن لشاعر مهما بلغ فصاحة وبلاغة أن يجاريه في قوافيه، فها هو ذا زعيم أبولو ناجى يتحدث عن هذا المجد الخالد فيقول :

وكأنمـــا البـــاكي بدمعتـــه ... مـا ذاق قبلـك لوعـة الحـزن !
فاذهب كما ذهب الربيع مضى ... قـــد شـــيعته مـــدامع الزهـــر
واهـدأ كما هـدأ النسيم قضى ... في هـــدأة الأضـــواء والشـــعر
مـــا كنـــت إلا أمـــةً ذهبـــت ... والعبقريـــة أمـــة الأمـــم
أو شـــعلة أبصـــارنا خلبـــت ... ومنـــارة نصـــبت علـــى علـــم
يـا راقـدا قـد بـات في مثـوى ... بعـدت بـه الـدنيا ومـا بعـدا
أيـن النجـوم أصـغ كمـا أهـوى ... شـعرا كشـعرك خالـداً أبـدا ؟ !
لكـــن حـــزني لـــو علمـــت بـــه ... لم يبـــق لى صـــبرا ولا جهـــدا
فاعـــذر إلى يـــوم نفيـــك بـــه ... حـــق النبـــوغ ونـــذكر المجـــدا[1]

في تلك اللوحة الفنية يتحدث الشاعر عن المجد الشعري الذي صنعه شوقي بنفسه ؛ فأبقاه وأبقى على أمته، فهو مجد لا يمكن مجاراته بحال من الأحوال ؛لذا عده في باب الشعر أمة وحده، حيث ذهب وولى بجسده ولم تذهب عبقريته الشعرية بذهابه ، بل نجد هذا الشاعر– المنتمى إلى التيار الرومانسي– في سياق تأبينه لشعر شوقي يتمنى أن تدنو له النجوم ليصغ منها شعراً يهبه الخلود كشوقي، لكن يا لها من مفارقة عجيبة حينما نراه يحترز بقوله – كما أهوى – ونحن نعلم أن الشعر الذي يوافق هواه هو ذاك الشعر

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٣٥ .

الرومانسي الحالم الذي يعبر عن المشاعر الذاتية التى خلا منها شعر (شوقي)، فشعره كان يعبر عن الغير لا عن الذات، هذا فضلا عن سيطرة لغة العقل عليه، فلعله يقصد بذلك تمني موهبة شعرية كموهبة شوقي وعبقرية كعبقريته، ثم ينظم بها شعرا على طريقته – الرومانسية – ؛ليضمن له الخلود كما خلد شعر(شوقي)، وعن هذا المجد تحدث أيضا الشاعر (مصطفى كامل الشناوي) في قوله :

أيها الباكي على شـــوقي تكا د تذوب من طول البكاء نحولا
تبكى مصاب الشرق في الباني له مجداً أشم على الزمان أثيلا
تبكى النبوغ هوى بشوقي نجمه يا أيها الباكي : بذلت قليلاً
ما كنت شوقي واحداً في جيلنا فرداً ولكن كنت وحدك جيلاً[1]

لقد كان شوقي قريباً من كل نفس خالطت شعره؛ لذا نجد الشاعر ينادى كل باك منتحب عليه قائلا له :مهلا أيها الباكي فليس مصابك في شوقي مصابك وحدك بل هو مصاب عم الأمة بأسرها، وكيف لا وهو الباني لأمته العربية مجداً شعريا، وظل طيلة حياته محافظاً على أعراقه وأمجاده وقوميته العربية، ومن ثم فشوقي ليس واحداً في جيله بل كان جيلاً بأكمله في العلم والأدب، والمعنى ذاته نجده أيضا في مرثية (الساحر) للشاعر إبراهيم زكى، إذ نجده يقول:

أرسلوا الدمع واذرفوه سخيا واندبوا اليوم شاعراً عبقريا
لم يكن واحدا يهون ولكن كان إذ كان واحداً أوحديًّا
لم يكن واحدا يهون ولكن كان جيلا قد انطوى أبديا
لم يكن واحدا يحيط به القو ل وتُبْنى عنه المقالة شيًّا
إنما كان عالما من فنون وشعور مازال ينبض حيا

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦٠٨ .

ودولة الشعر بعد فقدك دالت وطوى الدهر عصرا ذهبيا[1]

ونلحظ أن ثمة قاسما مشتركا يجمع بين الشعراء الراثين لشوقي، وهو أنهم كانوا يرونه شاعراً فريداً، يمثل جيلا بأكمله، وعالَمَا متنوعا من الفنون، هذه المعاني قد دار الشعراء في فلكها، لكن الشاعر هنا أضاف إلى هذه المعاني معنى جديدا وهو تدهور دولة الشعر بعد شوقي، إذ كان يعد صمام أمان والأنموذج الذي يحتذي، ومن ثم فقد أطلقوا على عصره العصر الذهبي للأدب، وما ذلك إلا اعترافا منهم بموهبته الشعرية وعبقريته الفذة، لقد حمل لواء الشعر والأدب على أرض النيل؛ فأصبحت تزهو بهذا المجد التالد الذي شاده أميرها وفارسها المغوار، نجد ذلك المعنى في قصيدة (رثاء شوقي) لعلى الجارم فيقول:

رفعت مصر راية الشعر في الشر ق، وأولت أميره صولجانه
ومشي الدهر في الوفود إلى ال بيعة يحتث نحوه ركبانه
ورأينا مجدا يشاد لمصر يعجز الوهم أن ينال قنانه
وسمعنا بكل أفق رنينا رددته القصائد الرنانة
هكذا كل من يريد خلودا يجعل الكون كله ميدانه
هكذا فليسر إلى المجد من شاء ، ويرفع بذكره أوطانه[2]

يوضح الشاعر كيف أن مصر أضحت مرفوعة الرأس بين أقطار المشرق العربى، وذلك بنبوغ ابن من أبنائها البررة، حيث جاءته وفود الشعراء من شتى الأقطار العربية عام ١٩٢٧م لمبايعته على إمارة الشعر ، وهكذا وصل (شوقي) بمصر إلى القمة الأدبية، وعلا على عرش الشعر، وركب صهوة جواده، فشاد لها مجدا يصعب على الغير بلوغه، وظل متربعا وملكا

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٨ – ٦١٩ .
(٢) ديوان على الجارم – الطبعة الأولى، والثانية: ١٩٨٦م – ١٩٩٠م – دار الشروق: ٢٩٧ .

متوجا على هذا العرش حتى لب نداء ربه، فكانت حياته مسيرة عطاء بلا انقطاع، متقنا لصنعة الشعر محافظا على تقاليده العربية ساعيا نحو تجديده بما لا يخل بتلك التقاليد، كما اهتم بقضايا مجتمعه وقوميته العربية، فجاهدا بكل ما يملك ضد الاستعمار الذى يسعى بكل جهد لطمس تلك الهوية، من أجل هذا كتب لقصائده الذيوع والخلود، ولذكره الرفعة والثناء، ومن ثم فقد اهتز الشرق واضطرب لموته ففزع وحزن صور لنا ذلك الشاعر (على الجارم) في القصيدة التي نحن بصددها :

ملأ الشرق موت من ملأ الشر ق حياة وقوة وزكانة[1]

ولا يخفى ما في البيت من مقابلة رائعة حيث قد عم الحزن جميع الأقطار العربية لموته بعدما ملأها هو بالحياة والقوة والذكاء والفطنة ، إنها الحياة في مقابل الموت، فلربما كان في الموت حياة، وتولد الفجر من رحم الليل، ومن ثم نجد هؤلاء الشعراء في رثائهم له يصفونه بأنه ميراث العرب وفخرهم ابن النيل الأصيل، كما جاء في قصيدة (وقفة على قبر شوقي) للشاعر (طلبة محمد عبده)، إذ يقول:

أيها القبر أتعلم أن في ك رفاتا هو ميراث العرب
فيك يا قبر أمان طالما سهر الجيل عليها وتعب
فيك يا قبر دفين خالد كان بالأمس إلى المجد يثب
فيك يا قبر أنيس ساحر فكه المحضر بسام طرب
فيك فخر النيل يا قبر فته وافخر اليوم على الدنيا وطب![2]

فشوقي في عصره شاعر العربية بلا منازع، يحافظ على ميراث الأجداد، ويبعث فيه الحياة، ولا يضن عليه بالتجديد دون الإخلال بالثوابت، ولذا نجد الشاعر في الأبيات السابقة قد ربط بين تعبيرين:(ميراث العرب)،

(١) ديوان على الجارم : ٢٩٣.
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٧ .

و(فخر النيل)، وقليل من الشعراء المعاصرين من يحافظ على تلك المعادلة؛ لذا نجد الشعراء في إطار رثائهم له والحديث عن موهبته الفذة يرثون حال الشعر والشعراء بعده، فيقول الشاعر طلبة محمد عبده في القصيدة السابقة ذاتها:

مستنير الشهب في الأفق خبا ومعين الضاد في الترب نضب
ليت ناعيك تخطاك إلى عشرات من جراثيم الأدب
زبد الناس على الدهر ثوى وأرى ما ينفع الناس ذهب[1]

فقد ظهر جيل من الشعراء أصيب بالضعف حيث الاهتمام بالصنعة والتلاعب بالألفاظ، والخروج على الأوزان المألوفة، ومن ثم فلم يعد لشعرهم صدى في النفوس، ولا هوى في القلوب، فنجد الشاعر إبراهيم زكى يعبر عن ذلك قائلا :

كيف أرثيك يا أمير القوافي أبدمعي ؟- والدمع ليس كفيا
أم بشعري ؟ والشعر بعدك أضحى ليس يشفى في القلب داء دويا[2]

وهكذا نرى الشعراء الراثين لشوقي يرثون الشعر بعده، وذلك لذهاب تلك العبقرية، ولظهور جيل من الشعراء بعد (شوقي) يريد التحرر من قيود الشعر المتعارف عليها بغرض التجديد، ونلمس ذلك أيضا في قصيدة (الشعر بعد كبيره وأميره) للشاعر(معروف الرصافي) حيث يقول:

الشعر بعد مصابه بكبيره في مصر جل مصابه بأميره
فالشعر بعدهما استطال بكاؤه وتموجت بالحزن كل بحوره
فالشعر قد دكت جبال فنونه إذ موت شوقي كان نفخة صوره
يا راحلا ترك القوافي بعده محتاجة المحيا إلى تفكيره
لهفى على ذيالك القلم الذي يتطرب الأرواح لحن صريره

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٧ – ٤٧٨.
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول –٦١٩ .

الشـــعر كنـــت أمـــيره وسمـــيره فمـــن المســـامر بعـــد فقـــد سمـــيره
حررتـــه مـــن رق كـــل تصـــنع فبـــدت فنـــون الحســـن في تحريـــره
ســـخرت مـــن أوتـــاره مـــا لم يكـــن ليطيـــع غـــيرك قـــط في تســـخيره[1]

فـي البيـت الأول والثـاني تحـدث(الرصـافى)عـن مـوت زعمـين مـن زعماء الكلاسيكية (حافظ)ثم (شوقي)، مشيرا إلى ذلك بقوله : (كبيره وأميره)، وذكر أن المصاب فيهما كان أمرا جللا، ثم أخذ في الحديث عن موت شوقي وأثره على الشعر والشعراء، إذ كان موته نذير شؤم على الشعر، بعد أن حرره من قيود الصنعة التي طرأت عليه، مطوعا بحوره الخليلة لتسع كل المعاني حتى أنشد قصائده المنشدون، ولحنها الملحنون، وتغنى بها المغنون، من أمثال (محمد عبد الوهاب)، وكوكب الشرق(أم كلثوم).

- **حـديث الشـعراء عـن القضـايا الموضـوعية والآثـار الفكريـة في شعر شوقي:**

لقد تضمنت المراثي التي نحن بصدد الحديث عنها قدرا لا بأس به من الحديث عن الموضوعات والقضايا الشعرية التي نظم فيها(أحمد شوقي) والتي تدل على ثقافته وإلمامه بقضايا مجتمعه، وقد لاحظنا خلال الدراسة أن الشعراء أحيانا وهم يرثون أو يؤبنون (شوقي) يتناولون هذه الموضوعات ويشيرون إليها مجرد إشارة، وتارة ينصون عليها ويذكرون مدى إتقان أحمد شوقي لها ومدى دورها وصداها في بناء المجتمع، مما كتب له الخلود حتى بعد الرحيل، فنجدهم يتحدثون عن **مسرحه الشعري** من أمثال مسرحيات (مجنون ليلى)، و (كليوباترة)، و (قمبيز) وغيرها، وهى مسرحيات شعرية " استهدف شوقي من خلالها أغراضا أخلاقية ومبادئ سامية كخير المجتمع، وتغليب الواجب على شهوات النفس، كما كان الحب فيها عنصرا رئيسا، لكن

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٩١ – ٤٩٣ .

الوجب هو الذي ينتصر دائما على الحب "[1]، ونلحظ تكرار المسرحيات الثلاث في العديد من رثائيات الشعراء لشوقي ولعله الجمع بين فخامة التراث العربي من جهة، وفهمه لثقافة وطبيعة المجتمع المصري المعاصر من جهة أخرى ، إنها الأصالة والمعاصرة، فمسرحية (مجنون ليلى) أحداثها مستوحاة من التاريخ العربي القديم حيث البادية، و (كليوباترا)، و (قمبيز) أحداثهما مستوحاة من التاريخ المصري القديم لكنه حكاهما بأسلوب معاصر، وهكذا نرى شاعرا مشدوها بالجمع بين هاتين الثقافتين، مشغولا بهما، هائما في حبهما، فكان من آثاره تلك الروائع، ومن ثم فهو جدير بالخلود، وعبقريته تسترعى الإعجاب، ولهذا وجدنا الشعراء الراثين والباكين له يذكرون له مثل هذه الآثار والروائع الخالدة، فهذا الشاعر حليم دموس ينعى شوقي في قصيدته (إلى شاعر الخلود)، فيؤكد على بقاء (شوقي) حيا في القلوب رغم الرحيل، بل ستظل الأجيال المصرية والعربية تذكره ، لذكرهم هذه الروائع إذ نجده يقول:

قالت قوافيه للأهرامات هامسة: كم بيننا في خلود الذكر من نسب!
شعر تنزل عن وحى وعاطفة من سدرة المنتهى من أرفع القبب
بنى فمكَّن حتى صان دولته جرى فغبر حتى فاز بالقصب
مشى مع (المتنبي) في روائعه ونال عن (شكسبير) راية الغلب
أعاد خيمة(ليلى)فهي خافقة بقلب (قيس الهوى) مشدودة الطنب
وهز قلب(كليوبطرا) وصاحبها كأن عهده عن مصر لم يغب
عصر لشوقي: تساوى أوائله وفى أواخره ما جاء من عجب[2]

(١) شعر شوقي في ميزان النقد، تأليف / محمد مصطفى المجذوب – الناشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – الطبعة السابعة ، العدد الرابع – ربيع الأخر :١٣٩٥ إبريل – ١٩٧٥م : ٩٣ بتصرف .

(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٥ .

ففي الأبيات السابقة نجد الشاعر يشير إلى مسرحيتي (مجنون ليلى) و(كليوباترا)؛ ليدلل على سعة ثقافة شوقي وإطالته النظر في التاريخ العربي، والمصري القديم ، فهو لا يغفل تراث الأجداد فيتأثر بالمتنبي ويأخذ عنه أسس القصيدة العربية القديمة ويحافظ عليها، ومع ذلك لم يترك التجديد بل سعى إليه محاكيا (شكسبير)في روائعه، حتى أحدث نهضة كبرى في المسرح الشعرى في مصر، إننا نجده يشيد بحرفية الفقيد، وكيف أنه عمل على "تطوير الحوار بما يناسب شعره الغنائي، الذى يصور رواسب الشعر العربى كما كان في أوجه عند أبى تمام والبحتري والمتنبي، ذلك الشعر الذى يصور أحاسيس الكاتب في لغة منسقة ذات موسيقى وخيال وعاطفة، محافظا في ذلك على نظام القصيدة في البحر والقافية " [(١)].

فحينما يستدعى (شوقي) شخصية قيس في مسرحية (مجنون ليلى) إنه يريد أن يشدنا إلى ذاك العهد الجميل حيث الوقوف على الأطلال،وهذا الحب الواله الذى يصل إلى حد الموت في سبيل الوصول إلى المحبوب، وكذلك يستدعى قصة (كليوباترا) ويبرع في تصوير مشاهدها، وكأنه شاهد عيان على أحداثها، مواصلا سرد تلك الأحداث بما يناسب الثقافة المصرية المعاصرة، وكأنها تحدث على أرض الواقع، إذ كان شوقي–يرحمه الله – مع درايته بالتاريخ جيدا إلا أنه كان " لا يتقيد به بل يتصرف تصرف المفن فيغير ويبدل في الوقائع، ويدخل إليها أحداثا من اختراعه "[(٢)]ليشد انتباه الجمهور الذى كان على دراية كبيرة به، فكان الجمهور المصرى يقبل على المسرح ليس حبا فيه، وإنما حبا في شعر شوقي الغنائي الذى أدار حوار مسرحياته به، وإن لم يعجب هذا الصنيع النقاد إلا أنه كان يروق للجمهور .

(١) طالع رأى الدكتور / محمد حامد شوكت في مسرح شوقي– كتاب الأدب المقارن – إعداد ونشر جامعة المدينة العالمية – د.ت : صـ ١٦٢ ، بتصرف .

(٢) شعر شوقي في ميزان النقد :٩٣ ، بتصرف .

ومن هنا يمكن القول بأن هذا النجاح الباهر الذى حققه شوقي لدى جمهوره هو الذى كتب له البقاء والخلود فيوجدان قرائه ومحبيه ، خلود الأهرامات التي هى خير شاهد على عبقرية المصريين، فمسرحيات (شوقي)خير شاهد أيضا على عبقريته.

وها هو الشاعر (محمد فريد عبد القادر) نراه وهو ينعى(شوقي)في قصيدته (أمير البيان) يتحدث عن مسرحياته الشعرية أيضا، فيقول :

مبدع القصة في الشعر وما ... كان في الفصحى لها ضوء فتيل
نهضة أجدت علينا مسرحا ... عربي اللفظ والروح النبيل
تزدهي الآداب في باقته ... بُدِّلت فيها ازدهاراً بذبول
ذي (كليوبترا) وما أروعها ... لمحة الماضي وترجيع الهديل
أُنصف التاريخ فيها وامَّحت ... لوثة الذام وارجاف الدخيل
قد تلا لا في سناها أفق ... زاهر المجد على العهد الطويل
صورةٌ من مصر في نشوتها ... تبعث الأيام من واد ظليل
شاهدها الشمس والنيل، وما ... أصدق الأشهاد من شمس ونيل
زهت الأولى على عرش(منا) ... وجرى الثاني بماءٍ سلسبيل
تجد العزة فيها والهوى ... والجنان الثَّبْت في الخطب المهيل
وترى الملكة فيها لبأةً ... تفتدي الوادي بإثار الأفول
(الحياة الحبُّ) من ألحانها ... متعة النفس وتأساءُ الخليل
وذه(مجنون) ليلى أثر ... من حياة البدو مقطوع المثيل
رام(قيس)قرب (ليلى) ومضى ... في فناء من هواها وذهول
يتلقى الوحي عن شيطانه ... فيجيد الوصف في الشعر الذلول
يذكر (الغيل) وما أمتعه ... من لقاء ورجاء يوم (غيل)
يملأ البيد بها مقتحما ... عادة القوم ومرعى الأصول

وهـى تجزيـه عـن الحـب هـوى حـازم العطـف رحيمـا بالعليـل
لكـــن العـــرف ومـــا أنتجـــه عبـث المجنـون مـن قـال وقيـل
منعاهـا قـرب قـيس وقضـت في هـواه وقضـى بعـد قليـل
قطعـــةٌ رائعـــةٌ في فنهـــا صـورة البيـد وعـادات القبيـل
قـــد تلاهـــا درٌ منضـــودةٌ كنـت في إبـداعها غـير كفيـل[1]

لقد أكد الشاعر أيضا على أن الفقيد قد استلهم مادة مسرحياته الشعرية من التاريخ القديم، وهذا ما جعل (الدكتور / مندور) يصف مسرح (شوقي) بالمسرح الكلاسيكي [2]، لكن من الواضح من خلال الأبيات السابقة، والنص السابق عليها أيضا أن (شوقي) قد مزج في مسرحياته بين الكلاسيكية والرومانسية، حيث اتسمت بالطابع التاريخي المحلى أو الشعبى، ولا أدل على ذلك أنه إذا ما استعرضنا مسرحيات شوقي فسنجد فيها أبياتا– كما في مجنون ليلى – رومانسية يلقيها على لسان البطل وهذا ما أذهب عن مسرحه الرتابة، وجذب إليها الجمهور المصري نحو الاستمتاع بها، ومن ثم فقد قفز بالمسرح المصرى ونهض به، فلولاه ما عرف المسرح الشعرى في مصر ، هذا فضلا عن التزامه باللفظ الفصيح السليم لغويا، ولعل هذا ما ضمن النجاح لتلك الروائع، وكتب البقاء لشوقي بعد رحيله، وعلى هذا المنوال نجد الشاعر (مصطفى كامل الشناوى) ينسج قوله في(شوقي):

قـد مـد في سـبب الحيـاة بشـعره وأقـام فـوق جبينهـا إكليـلا
مـا إن هـوت في شـاطئها أنجـم إلا وكـــان ببعـــثهن كفـــيلا
قـد كـان في عصـر الحضـارة يوشـعا يـرد الشـموس الهاويـات أفـولا
(قيس) سل في خطبه (ليلى) وسي رتهـا وأطلـق دمعـه المغلـولا

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٨ – ٥٢٩ .
(٢) راجع الأدب المقارن : ١٤٦

ويكـــاد (قمبيـــز)تســـيل دموعـــه شـــجنا، ولـــتكن قبلـــه لتســـيلا[1]

حيث يذهب إلى أن شوقي قدم للمسرح المصرى شخوصا حية تنبض بالحياة، ضاربا بذلك المثل بمسرحيتى (مجنون ليلى)، و(قمبيز)، بل نجده وغيره من الشعراء الباكين لشوقي يؤكدون على أنه استطاع من خلال مسرحه الجيد أن يخلد ذكرى أبطال مسرحياته، وكان من الممكن أن تذهب مع الأيام ريحهم لولا جيد شعره وحسن نسجه لتلك الأعمال، هذا ما أكد عليه أيضا الشاعر (مختار الوكيل) في قصيدته (حلم تعجل) إذ نجده يقول:

ســتقول الأيــام خلــدت (ليلــى) بقصــيد مــن نســمة الفجــر أجمــل
(وكيلوبـــاترا) تمـــد يـــد الشـــكر إلى المنصـــف العظـــيم المبجـــل
قـــد جلاهـــا نقيـــة مـــن ظنـــون ســيئات، جرى بها كل مقول[2]

لقد استطاع (شوقي)أن ينقل لنا التاريخ بكل أمانة من خلال تلك الأعمال – رغم تضمينه لتلك المسرحيات غنائيات أجراها على ألسنة أبطالها ؛ ليذهب عنها الرتابة كما أشرت من قبل – إلا أنه استطاع أن يحافظ على فحوى القصص بعيدا عن زيف القصاص الذين يبررون ذلك بإحكام الحبكة الدرامية، وجذب المشاهدين .

لقد نجح(شوقي) ووفق في تقديم تلك الروايات الشعرية التمثلية بلغة فصيحة سهلة سلسة، مراعيا فيها حال المتلقى، فكانت بحق حديث الجميع، وإبداعا أدهش كل لبيب مثقف عاشق للفن الهادف ؛ إذ نجد الشاعر(على الجارم) يقول في رثائه له :

والروايات، أدهشت كل لب ثم أربت، فأدهشت شيطانه[3]

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦٠٨ .
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦٠٦ .
(٣) ديوان على الجارم : ٢٩٤.

ومن الموضوعات الشعرية التي برع الفقيد في تقديمها والتى كانت حديث الشعراء الراثين له:**شعر الأطفال** وفى ذلك يقول الشاعر(مختار الوكيل) في قصيدته (حلم تعجل) السالفة الذكر:

يا أبا الشعر إن طفلك أمسى خائرا الروح عانيا يتململ
حينما أعلنوه بالخطب كادت روحه من كيانه تتسلل
صاح: ويحى من بعد ما غاب عنى من رعانى بعطفه وتكفل
وغذانى من سلسل مستفاض فصل الكون في سناه وأجمل
ويح نفسى قد مات من كان يلهو بلباب الحياة، إذ كان يعمل
والذى خصنى بكل حنان والذى صانني عزيزا مدلل
عفت هذى الحياة من بعد شوقي كيف أحيا؟ ومن به أتعلل؟[1]

هذه الأبيات تشع حنانا وعطفا ورعاية قد أولاها شوقي للطفل حينما خصه بأشعار تناسب تلك المرحلة العمرية، وقلما نجد من الشعراء من يهتم بها كاهتمام (شوقي)، حيث نظم لها أشعارا على أوزان خفيفة ذات ألفاظ سهلة وبسيطة؛ ولذا كان خبر موت(شوقي) خطباً فادحاً، وحدثاً مروعاً، لما له من عظيم الأثر على نفس الطفل البريء، لقد سما (شوقي) بنفس الطفل وغذى روحه بما يلائمها، حتى أحس بالحنان والعزة، لقد كادت نفس الطفل أن تنفلت بانفلات(شوقي)، وسئم الحياة بعد رحيله .

وكان **الوصف** أيضا من الموضوعات التي تميز (شوقي)في تقديمها حيث أضحت حديث الشعراء في رثائهم له ، فنجد (هاشم عبد الحي) يرثى أمير الشعراء ويسمه بسعة الخيال، وذلك في قصيدته شاعر الكون فيقول:

يا أمير البيان نظما ونثرا وسرى الخيال خلف المرائي
لك روح كم حلقت في علاها وصلت بيننا وبين السماء

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٠ .

لك وصف يدق عن كل وصف دونه الرسم غاية في الجلاء[1]

أوضحت الأبيات السابقة أن الشعراء يتفاضلون فيما بينهم، ويتميز بعضهم على البعض لحسن أوصافهم ودقة خيالهم، فكما ذكر (ابن رشيق القيرواني) "الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف"[2] فالشاعر الذى يجيد الوصف يجيد جميع الأغراض وشوقى بدوره من الشعراء المتميز ينفي دقة الوصف وسعة الخيال يحلق في السماء بخياله الواسع، يصف وكأنه فنان يرسم بريشته، بل نجد الشاعر (محمود غنيم) في رثائه له يرى أنه يتحدى المصورين بدقة وصفه إذ يقول :

قد تحدى المصورين بما لم يستطعه مصور ببنانه

ببيانه يصور الصمت والصو ت وضوء الشهاب فيلمعانه[3]

لقد ذهب الشاعر إلى ما هو أبعد من دقة الوصف ذاتها، لقد أصبح موصوفه صورة طبق الأصل، حيث استطاع بسعة خياله وقوة بيانه أن يصور الأشياء التي يستحيل تصويرها مثل : (الصمت والصوت)، بل استطاع أن يلاحق ضوء الشهاب فيصوره ويصفه عند لمعانه فجأة في صفحة السماء المظلمة، كما نجد الشاعر (طلبه محمد عبده)يقف على قبره مناديا إياه بقوله:

فانفض الترب وأنشدهم كما عهدوا لحنا على السمع عذب

أو صف الخلد لهم وصف امرئ لم يخالط قوله يوما كذب

قد عمرت الدهر حينا، أفهل آن أن تعمر ذا الربع الخرب؟

كنت للأحياء فخرا، أفهل آن أن يفخر سكان الترب؟[4]

---

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٤.

(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني، ت – محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت– الطبعة الخامسة – عام ١٩٨١م. : ٢ / ٢٩٤ .

(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٢.

(٤) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٧ .

فنجد الشاعر يتمنى من(شوقي)أن يقوم من مرقده؛ فيصف لهم عالم الخلد وصفا قويا لا يخالطه الكذب والتدليس، وكيف لا وشوقي وصافة فخر لكل مكان يحل به، ومن ثم حق لعالم الأموات أن يفخروا به كما فخر به عالم الأحياء، ومن عالم الوصف إلى عالم الحكمة التي شاعت في شعر شوقي وكانت حديث الشعراء في رثائهم له أيضا ، فذكروا أهم ما كان يتميز به شوقي في صوغ الحكمة، وهى أنها كانت تأتى مرسلة عفو الخاطر، دونما تكلف أو تعسف، فعلى الرغم من شيوعها وكثرتها في شعره، إلا أنها كانت مستساغة مستحسنه من قبل النقاد ؛ومن ثم نجد الشاعر محمد عثمان محجوب يقول :

جل الإله (أبولو) في مراقيه وجل من جبل (الأولمب) كرسيه
وقدست حكمه في الشعر مرسلة جاء منظمة كالدر من فيه[1]

لقد كانت حكمة شوقي صدى لعبقريته الفذة وشاعريته المتوقدة، فكان يحسن استخدامها متى وكيف، وهذا سبب واضح لتفوقه، ودليل أكيد على جودة شعر الحكمة، ولهذا حازت حكمته على إعجاب الشعراء الراثين له، فتحدثوا بها في رثائهم له، فنجد الشاعر مختار الوكيل يعبر عن ذلك أيضا بقوله:

قدم الحكمة العجيبة للنـ ـناس سلافا وطاب منه التأمل[2]

أى جاءت حكمته دون معاظلة معبرا عن ذلك بلفظة (سلافا) يعنى الخمر، كما تعنى عصارة الشيء، فشوقى – رحمه الله – قدم عصارة فكره على هيئة حكمة شاعت في شعره، إذ الحكمة تحتاج إلى طول تأمل وهذا من شأنه يفسد الشعر، لكن هذا الأمر جاء مستحسنا من قبله، وما ذلك إلا لموهبته وعبقريته التي منحه الله إياها، وهذا ما ذكره الشاعر (خليل مطران) في مرثيته (النيل الخالد) حيث يقول :

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٥.
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٠ .

للعبقرية قوة علوية في نجوة من نفسه عصماء

كم أخرجت لأولى البصائر حكمة مما ألم به من الأرزاء[1]

لقد خاض (شوقي) الكثير من التجارب وعاش كثيرا من المحن؛الأمر الذى جعله يكثر من هذا اللون في شعره ويحسن نظمه، ولنقرأ قول على الجارم في هذا الصدد :

أول السابقين شوقي، إذ جا ل ذوو السبق يبتغون رهانه

شعره حكمة، وصدق خيال وجمال، وروعة، ورصانة[2]

ومن شيوع الحكمة في شعره إلى مصرياته التي ذاعت وشاعت أيضا وهو أمر لاحظه الشعراء الراثين له، فلا أحد يزايد على وطنية (شوقي)، فكم هام عشقا بمصر وأهلها، وحن شوقا إلى ذكرها، ونبض قلبه بحبها، فشاد بذكرها في كل المحافل، وتغزل واصفا في كل مظاهرها، وفى ذلك نجد الشاعر على الجارم يفصل القول في هذا الجانب وهو يبكى (شوقي)؛ فيقول :

كان صبا بمصر كم هام شوقا برباها وبثها أحزانه

دفن اللهو والصبا في ثراها وطوى من شبابه عنفوانه

هى بستانه، فغرد فيه حب با كل قلبه بستانه

يحرس الفن في ظلال نواحي ه ويرمى عن دوحه غربانه

يعشق النيل والخمائل تهتز بشطيه خضرة ولدانه

يعشق النيل والجزيرة تغري ه، وقد لف حولها أردانه

يعشق الجسر، والسفائن تهفو حوله كالحمائم الظمآنه

كل شيء مصر يبهر عيني ه جمالا، ويستثير جنانه

كلما هزه إلى الشعر شوق جذب الحب نحوها وجدانه

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول –٤٩٠ .

(٢) ديوان على الجارم : ٢٩٦.

فشدا باسمها كما تصدح الطي ر، وقد شمر الدجى طيلسانه
في خشوع يشيد باسم (فؤادٍ) مثلما ردد المصلى أذانه
ملك مد للفنون يمينا علمت كل محسن إحسانه
نظرة منه زادت الشعر زهوا وأعادت لعهده ريعانه
نحن في ظل تاجه في زمان ود (هارون) أن يكون زمانه[1]

الأبيات السابقة تعبر عن عشق (شوقي) لمصر عشق الهيام والتصابى بكل مظاهرها، فكم غرد في بساتينها، وشدا بنيلها ومناخها، حتى ذابت صورتها في مقلتيه فلم تفارقهما، ويذكر أنه تعمد أن يقيم في منزله على البحر ليشهد السفن غادية ورائحة منها[2]، كما هتف باسم ملكها مادام قد ازدهرت الآداب والفنون في عهده؛ بما كان يزجيه من تشجيع للأدباء، مما جعل عصره يفوق عصر (هارون الرشيد)، الذى يعد من أزهى العصور في العلم والشعر والأدب، لقد أخلص (شوقي) لمصر وطبيعتها الخلابة، فانفتحت له على ما فيها من دفائن ومفاتن، فبادلته الإخلاص، وألهمته شعرا أرق من النسيم، وأنضر من الروض الوسيم، إنه العطاء المتبادل جاء ذلك أيضا في قصيدة النيل الخالد حيث يقول (خليل مطران):

لك في قريضك خطة آثرتها عزت على الفصحاء والبلغاء
من أى بحر دره متصيد وسناه من تنزيل أى سماء
ظهرت شمائل مصر فيه بما بها من رقة ونعومة ونقاء
ترخيمها في لحنه متسامع ونعيمها في وشيه متراء
شعر سرى مسرى النسيم بلطفه وصفا بروعته صفاء الماء

(١) ديوان على الجارم : ٢٩٥ – ٢٩٦.
(٢) وطنية شوقي – دراسة أدبية تاريخية مقارنة– د / أحمد الحوفى الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة : ١٩٧٨م : ١٥٤ بتصروف .

تــرى العيــون عيونــه مشــتفة ويصـيب فيـه السـمع رى ظمـاء
ويكاد يلمس فيه مشهود الرؤى ويحـس همـس الظـن في الحوبـاء
في الجـو يـؤنس مـن يحلـق طـائر والــدوّ يــؤنس راكــب الوجنــاء
عجبـا لمـا صـرفت فيـه فنونـه مــن فطنــة خلابــة وذكــاء[1]

لقد ركز الشعراء الباكون لشوقي في حديثهم عن الموضوعات التي برزت في شعره كمصرياته، وضربوا المثل به في حبه لوطنه والاهتمام بقضاياه ؛ فعلى سبيل المثال نجدهم يتحدثون عن إيمانه الشديد بالوحدة الوطنية رغم التزامه بتعاليم دينه، لكنه كان يحترم كل الناس أجمعين رفقاء الوطن بصرف النظر عما يدينون، حيث أشار إلى ذلك الشاعر إلياس أبو شبكه في قصيدته (شاعر الإنسانية)قائلا :

لا لقـــــوم ولا لـــــدين أنـــت للنـــاس أجمعـــين!
أهلــك الــوحى والهــدى دينــك الحــق المبــين
أنــت للشــوك للــورد للنبــين في القيــود
للبــذيين، لليهــود للنصــارى، للمســلمين
لا لقـــــوم ولا لـــــدين أنــت للنــاس أجمعــين![2]

وفى إطار حبه الشديد لبلاده نجد الشعراء يتناولون اهتمامه بالأخلاق والتعليم وحث الشباب ودفعهم إلى ميدانه؛ حيث نجد ذلك في قصيدة (الفجيعة المخرسة) للشاعر (فرحات عبد الخالق)، فيقول:

ويبحــث في مصــر عمــا ابتلاهــا وعمـا اجتلاهـا، فينمـى، وينقـى
فأمــا عــن الخلُــق فهــو رســول إلى الخُلْــق يصــلحه ويرقــى
فكـم صـاح في مصر(شـوقي) ونـادي بــأن علاهــا علــى ركــن خلــق

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٩ .
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٦ .

وحث على العلم فهو سراج وقاد إليه الشباب بحذق
وأحيا لشبَّانها نهضة وربى عليها الطباع برفق[1]

لقد كان شوقي – رحمه الله – شاهد عيان على نهضة مصر الحديثة وإيمانا منه بأن هذه النهضة لا تتأتى لبلاده إلا بنشر العلم وتحقيق الأخلاق الفاضلة ؛لذا نجده ينادي على الشباب ويوجههم في شتى المحافل والمنتديات ويحضهم على التسلح بالعلم لأنه سبيل تحقيق النهضة والارتقاء بالأمة، وكان لهم القدوة الحسنة في ذلك حيث سلك كل سبيل نحو العلم وسافر في بعثة إلى فرنسا مرتين لينال أعلى الشهادات في القانون ليكون في خدمة بلاده، كما كان يشيد بذكر الأخلاق ويرى أن الأمم لا ترتقي بغيرها، " كما كان يرى أنه لو وقف أكثر شعره على تقرير فضل الأخلاق لما كان مبالغا ولا مكثرا "[2] .

ولقد راح الشاعر (على الجارم) وهو يبكى (شوقي) يتحدث عن غزله ورثائه فيقول:

غزل كالشباب ينضح آما لاً ويهتز في حلى فتانه
تسمع الحب في نواحيه هما يتناجى ويشتكى أشجانه
وتحس الهوى يرف حنانا شرك الحب أن تحس حنانه[3]

وإن كنت لا أرى مجالا هنا للحديث عن الغزل، وقد يكون مبرر الشاعر أن القصيدة قيلت في حفل تأبين بعد موت شوقي بمدة من الوقت، ذكر فيها موضوعاته الشعرية جملة وكان ضمن ذلك غزله، فتحدث عن هذا الغزل الذى يشع جمالا وجلالا يرف في ثوب العفة والعذرية، كما يشع في نواحيه سمو الروح، فلم يتعرض لذكر مفاتن المرأة، كما نجده يتحدث عن رثائه فيقول:

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٣.
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٩١ .
(٣) ديوان على الجارم : ٢٩٤ .

ورثاء لو كان يسمعه الم ـيت لأحيا بسحره جثمانه
عرف الموت والحياة جميعا ورأى بعد حيرة برهانه[1]

لقد كان هذا موجزا عن الموضوعات والقضايا التي وردت في شعر شوقي، والتى تحدث عنها الشعراء الباكين له، وفيما يلي عرض لأهم الخصائص الفنية في شعر (شوقي)التي كانت حديث الشعراء الراثين له .

- **حديث الشعراء عن الخصائص الفنية في شعر شوقي :**

لقد تبين لنا مما سبق أن الشعراء الراثين لشوقي– على اختلاف مدارسهم وتنوع مشاربهم – يرون فيه مثالا رائعاً في نظم الشعر وأنموذجا يحتذى، حيث كان – يرحمه الله – حامى حمى الشعر، وباعثا له من رقدته، وعاملاً من عوامل نهضته وازدهاره ؛لذا ركزوا في بكائهم له على عبقريته وموهبته الفذة، وكيف أنه بنى مدرسة شعرية لها شأن كبير، عالية الطود راسخة البنيان، حيث بوأ مصر والمشرق العربى مكانة عالية، ورفع راية المجد خفاقة فوق رؤوسهم، ومن ثم فقد كان موته خسارة كبيرة وفاجعة استيقظ عليها الجميع، فرأوا أن موته يعد تقويضاً لدولة الشعر وضعفاً لها بعد قوتها وعلو قدرها، إذ نجد الشاعر إبراهيم زكى يذكر ذلك في قصيدته (الساحر) فيقول :

ودولة الشعر بعد فقدك دالت وطوى الدهر عصرا ذهبيا[2]

لقد بنى المرحوم شوقي دولته الشعرية على ألفاظ فصيحة قوية، ومعان واضحة، وتصوير دقيق وخيال واسع، تلك العناصر التي كانت مناط إعجاب الشعراء المعاصرين له، وسببا من أسباب إطرائهم له بعد موته، فنجدهم يتحدثون عن ألفاظه وفصاحتها، إذ يعد حامى حمى الفصحى في عصر زاد التجاسر عليها، وعز المحافظون والمتقنون، فهاهو (على الجارم) ينادى على (شوقي) متحسرا عليه بقوله:

(١) ديوان على الجارم : ٢٩٤ .
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٨ – ٦١٩ .

يـا مجـير الفصـحى وقـد عقهـا الـده ... ر وأغـــرى بقومهـــا حدثانـــه
نزلـــت في ذراك روضـــا مريعـــا ... هـــدل النـــور والجـــنى أغصـــانه
واستعادت حسن الشباب وكانت ... رمقـــا بـــين كـــبرة وزمانـــه
وحمتهـــا يـــدك مـــن شـــر بـــاغ ... في زمـان طغـت عليـه الرطانـه
ذكرتهـــا رنـــات صـــوتك قومـــا ... ســـلفوا مـــن هـــوازن وكنانـــه[1]

إنهـم كـانوا يـرون (شـوقي) ومـن معـه مـن المتقنـين للغـة العربيـة والمحافظين عليها حراساً لها في وقت عز فيه النصير، وقل المجير ، وذلك بعد أن أهملها أهلها وساعدوا على احتضارها واندثارها، محققين بذلك مرام الأعداء، فشمروا عن ساعد الجد لإنقاذها من همجية العامية وهجمتها الشرسة، فلا ننسى قصيدة (حافظ إبراهيم) – الذى ودع الدنيا قبل (شوقي) بقليل –التى نعى فيها اللغة العربية تحت عنوان (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها) وهى قصيدة مشهورة ذائعة الصيت، ولا عجب أن رأينا (شوقي) يأتي ببعض الألفاظ العربية القح في أشعاره، مما قد يضطر القارئ لشعره أن يبحث في المعاجم لفهم بعض تلك الألفاظ، قد يراها البعض جمودا، ونراها محافظة على التراث، هذا ما جعل الشاعر (هاشم عبد الحي) يقول :

في فصيح الألفاظ تنظم الدر ... فيبدو القصيد جم الرواء[2]

وحسبه – يرحمه الله –كذلك أنه كان يختار معجمه اللفظى ويراعى فيه السهولة والدقة مع الفصاحة والرصانة والجزالة، ولهذا كم بكت عليه لغة الضاد، وكم نعته بعد وفاته حيث يقول (محمد فريد عبد القادر):

بكت الضاد، فهل بارقة ... منك تهدينا إلى الصبر الجميل؟[3]

ويقول الشاعر (حليم دموس):

---

(١) ديوان على الجارم : ٢٩٦ .
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٤.
(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٨.

تلفتت نحوه الفصحى معزية هيهات أن يتعزى قلب مكتب[١]

وكل هذا الجزع والبكاء المتخيل من قبل اللغة العربية حزنا على رحيل (شوقي) إنما كان مبرره أنه عاش محافظاً عليها، وكان العهد الذى حياه في رحابها من أزهى العهود ؛ لذا أحدث موته فراغا شعر به كل متذوق للغة عاشقا لها، فكانوا يرون أن هذا الفراغ لا يمكن لأحد أن يملأه بعده، فها هو الشاعر الأردني (عبد الفتاح الحديدي) يقول:

نعاك البرق يا شوقي فسالت دموع القلب وانكدر الضياء
ونادتك القوافي يا أميري وهل يجدي على الثكلى نداء
وقد أحدثت في الفصحى فراغاً بغير نهاك ليس له امتلاء[٢]

إذ كان – يرحمه الله –له الفضل في نظم المسرح الشعرى بلغة فصيحة حيث يقول الشاعر:

مبدع القصة في الشعر وما كان في الفصحى لها ضوء فتيل
نهضة أجدت علينا مسرحا عربي اللفظ والروح النبيل
تزدهي الآداب في باقته بُدِّلت فيها ازدهاراً بذبول[٣]

كما تحدثوا عن سلاسة ألفاظه وجدتها ورونقها وعذوبتها، مما جعل قصائده تستولي على النفوس وتملك أزمتها، إذ نجد (أحمد زكى أبو شادى) يشيد بألفاظه قائلا :

وآيات أنغام بلفظ مسلسل فكل قصيد زف كالراح أوزانك
إذا لم تطعه الروح يفتن مسمعا ويعطى لموسيقى الملاحة وجدانك[٤]

ويقول (خليل مطران) عن جديد ألفاظه ورونقها :

---

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٤٨٦.
(٢) نشرة محمد أبو صوفة – موقع الرأى– بتاريخ : ٣– ٥– ٢٠١٧م : صـ ١ .
(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٨ .
(٤) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٢٩ .

فلكل لفــظ رونق متجدد ولكل قافية جــديد رواء[١]

إنهم في خضم حديثهم عن ألفاظه وإعجابهم بها نجدهم يتحدثون عن شرف معانيه وعلوها وهم بذلك يقررون مبدأ " الجاحظ " إذ يعتبر الألفاظ أكسية وأردية لجوهر المعاني فقد صح عنه القول " إذا اكتسى المعنى لفظاً حسناً، وأعار البليغ مخرجاً سهلاً صار في قلبك أحلى "[٢]أى أنه كلما كانت الألفاظ كريمة وأكسيتها أوصافاً رفيعة، تحولت في العيون عند مقادير صورها وبدت على حقائق أقدار بقدر ما زينت وزخرفت، فنجد (معروف الرصافى) يقول:

لأبى علـــى قريحـــة شـــعره وحـى أتـى مـن جبريـل شـعوره
كـم رمـى الغيـب الخفـي فـؤاده بذكائـه فأصـاب كشـف سـتوره
وتصــور المعــن الــدقيق فــرده كالصــبح منفلقــا أوان ظهــوره
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى من وشى سندس لفظه وحريره[٣]

إنها القريحة السليمة والموهبة التي منحها الله لشوقي فلم تتأت له من فراغ وكأنه وحى يوحى إليه، وأعانه على ذلك أيضا، حفظه لكتاب الله في سن مبكرة، وتشربه لمعانيه، ومطالعته وحفظه للكثير من دواوين العرب، وإطالته النظر في هذه الدواوين، وفى ذلك يقول الشاعر (هاشم عبد الحي) :

ومعان كأنها الـوحى تولى لرسول من نخبة الأنبياء
في فصيح الألفاظ تنظم الدر فيبدو القصيد جم الرواء[٤]

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٩٠ .
(٢) النقدالعربى القديم بين الرؤية والتنظرية والتطبيقية د/ جميل عبد الغنى محمد على ص : ١٧٢ط ١ عام ٢٠٠٠م.
(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٩٢ .
(٤) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٤.

ونتيجة لتمكن (شوقي) في اللغة، نجد أن ألفاظه قد رقت ؛ لدرجة أنها صلحت للأغاني في الكثير من الأحيان، فكم تغنى بأشعاره المطرب المشهور (محمد عبد الوهاب)، بل كانت أشعار (شوقي) سببا في شهرته وذيوع صيته وصار أميرا للغناء العربى، وفى هذا يقول (هاشم عبد الحي) باكيا إياه:

وأناشيد في المحافل سارت كمسير الرياح في الأجواء

كم تغنى بها (محمد) حتى لقبوه بها أمير الغناء(١)

فرقة ألفاظه وجزالتها وحلاوة معانيه هي التي جعلت من أشعاره مقطوعات موسيقية صالحة للتلحين ، تطرب الآذان، وتعلق بالقلوب، وتأخذ بالألباب، وفى هذا المضمار نجد الشاعر (محمد فريد عبد القادر) يقول :

والأغاني التي هذبتها برقيق اللفظ والمعنى الجزيل

عزف موسيقى وسحر عجب وسمو بقلوب وعقول(٢)

لذا نجد الشعراء يتحسرون على فقده لأنهم افتقدوا المعاني المنشودة والألفاظ الشيقة بفقده فقال (عبد الغنى الكبيثى) :

آه من ينظم أشتات المعاني فيصوغ الدر للناس كلاماً ؟

آه من تلهمه بعدى المغانى؟ فإذا الإلهام وحى لا يسامى !(٣)

وكثيراً ما نجد الشعراء الباكين لشوقي يتحدثون عن معانيه إعجابا وإجلالا ، فيرونه لا يجارى ولا يبارى في إتيانه بالفريد من المعاني، فمعانيه بمثابة الفرس الجموح التي لا يمتطى صهوتها إلا فارس مغوار لا يشق له غبار، إذ نجد الشاعر (على الجارم) يقول :

كم يتيم من المعانى غريب مسحت كفه عليه فصانه

وشموس رنا إليه، فألقى رأسه خاضعا وأعطى عنانه(٤)

---

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٤.

(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٩.

(٣) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦٠٦ .

(٤) ديوان على الجارم : ٢٩٣ .

وفي إطار نظمه للدر من الألفاظ وإتيانه بالشريف من المعاني يشبهونه بالبحتري وهو شاعر عباسي مشهور بالجليل من المعاني والرقيق من الألفاظ، فيقول (على الجارم):

هل نعيتم للبحترى بيانه! أو بكيتم لمعبد ألحانه
أو رأيتم روض القريض هشيما بعد ما قصف الردى ريحانه!
ومعان شوقية، في سياق بحترى، ورقة في متانه[1]

فالشاعر يذرف الدمع مدرارا على فقيد الأدب العربى (شوقي) مشبها إياه بالبحتري، ذلكم الشاعر العباسي المشهور برقة ألفاظه وانسجام أسلوبه وجمال تصويره للمعاني، كما يشبهه بمغن يقال له معبد عاش في أوائل الدولة الأموية عرف بجمال الصوت وحسن التوقيع، لقد أصبح روض الآداب يابسا تذروه الرياح وذلك بموت شوقي، لقد كان للفقيد بصمته وتأثيره على الشعر والشعراء من حيث المعانى والأساليب الجميلة، والألفاظ الرقيقة الجزلة.

كما نجد الشعراء الباكين لشوقي وهم يتحدثون عن عناصر شعره الفنية ينجذبون وينبهرن بخياله الواسع، إذ كان أهم العناصر التي تميز بها شعره – يرحمه الله –، فنجد الشاعر (محمود غنيم) يشير إلى ذلك بقوله:

قد تحدى المصورين بما لم يستطعه مصور ببنانه
ببيانه يصور الصمت والصو ت وضوء الشهاب في لمعانه
ويراع لو كان في عهد موسى خاف من سحره على ثعبانه!
وخيال إلى عطارد يسمو فيقص الأخبار عن سكانه
ويجوب المحيط شرقا وغربا ثم يروى للناس عن حيتانه
ويزيح الستار عن كل صدر فيروى ما انطوى عن كتمانه[2]

(١) ديوان على الجارم : ٢٩٢ – ٢٩٦ .
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٢.

ومهما يبدو في الأبيات السابقة من مبالغات مسرفة، إلا أن ذلك مستحب في الحديث عن الخيال، إذ الشعر بدونه تنتفي عنه صفة الشعر، ففي تصويره يمزج بين القديم والحديث، لكنه قد يأتي بصور غير معهوده فيصور الصوت والصمت ، ويتخيل الضوء، إنه عالم من السحر الغير متناهي والخيال الواسع، فلا غرو أن يبكه الشاعر للخيال ؛ لأنه كثيرا ما ترجم عنه بفنه الخلاب فيقول :

وابكه للخيال صفوا نقيا إنه كان في الورى ترجمانه(١)

وكثير ما نجد الشعراء الباكين له يتحدثون عن كيفية تشكيله للوحاته الفنية، ومقدرته الفنية على رسمها غاية في الروعة والجمال، لقد أصبحت شاهدة على تفوقه على مر العصور والدهور مخلدة لذكره، كما يقول معروف الرصافى:

ما مات من تركت أقلامه صورا خوالد من بنات ضميره
صورا تمثل ذاته وصفاته حتى يقمن لنا مقام نشوره(٢)

لقد عبر الشاعر عن بصمات (شوقي) الواضحة في صوره، فأهم ما يميز شاعرا عن آخر هى الصور ،وكيفية توظيفها وتنوعها واختلافها في تناوله عن غيره من الشعراء، حيث يكمن الجمال في حسن استخدام الصور الشعرية، إذ نجد الشاعر (خليل مطران) يقول:

فلكل لفظ رونق متجدد ولكل قافية جديد رواء
يجلى الجمال به كأبدع ما انجلت صور حسان في حسان مراء
ولربما راع الحقيقة رسمها فيه فما اعتصمت من الخيلاء(٣)

(١) ديوان على الجارم : ٢٩٣ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٩٠ .
(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٩٢ .

إنـه أرد أن يتحـدث عـن عنصـر آخـر للجمـال فيصـوره، وهـو حسـن استخدامه للألفاظ وما توحيه من معانٍ، حيث تكون أداة لرسم صور أفضل من تلك الصور التي تتراءى للعيان، فلا أحد ينسى صانع الخيال (شوقي) حيث صنع عالما من الخيال الخلاق، هكذا قال (أحمد زكى أبو شادى):

ومن ذا الذى ينسى خيالا موزعا على الكون حتى صرت تخلق أكوانك[١]

نعم لقد صنع (شوقي) عوالم خاصة به من الخيال الخلاق حيث أبحر بخياله وراء الطبيعة وخلف العالم المرئي، لقد سما بوجداننا إلى عنان السماء، وعن ذلك تحدث الشاعر (هاشم عبد الحي) قائلا :

يا أمير البيان نظـما ونثرا وسرى الخيال خلف المرائي
لك روح كم حلقت في علاها وصلت بيننا وبين السـماء[٢]

وعن جمال موسيقاه سواء أكانت الداخلية أم الخارجية تحدث الشعراء الباكين له واصفين حسن اختياره ودقيق مسلكه إذ يقول (على الجارم):

أيهـا الطـير ضـن مـاء القـوافي فبـــذلنا دموعنـــا الهتانـــه
مات يا طير صادح تسجد الطي ر إذا رجـــع الصـــدى تحنانـــه
نـــبرات تخالهـــا صـــوت داوو د بلفـــظ تخالـــه تبيانـــه[٣]

ذكرت فيما سبق أن الشعراء الباكين لشوقي تحدثوا عن كيفية استعماله للألفاظ السهلة الرقيقة وكذا استعماله للأوزان الخفيفة التي تصلح لنظم أناشيد الأطفال، وكذا المقطوعات التي تصلح للتلحين والغناء ؛ فكثير ما تغنى بشعره الموسيقار (محمد عبد الوهاب)، وربما اضطرته بعض الموضوعات للخروج على الأوزان الخليلية ضرورة للنظم، وهذا الخروج هو بداية العلاقة مع شباب أبوللو وغيرهم من دعاة التجديد، ومن ثم وجدنا بعض المراثي التي رثوا بها

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٢٩ .
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول – ٥٢٤.
(٣) ديوان على الجارم : ٢٩٢ .

(شوقي) قد خرجوا فيها على الأوزان الخليلية مما سنشير إليه في الجزء الثاني من هذا البحث عند الحديث عن عنصر الموسيقى، لقد تحدثوا أيضا عن حسن اختياره للألفاظ وانسجامها مع الوزن وتلاؤمها معه رقة وجزالة فيقول(محمد فريد عبد القادر):

والأغاني التي هذبتها برقيق اللفظ والمعنى الجزيل

عزف موسيقى وسحر عجب وسمو بقلوب وعقول[1]

كما تحدثوا عن حسن اختياره للقوافي ومدى تواؤمها مع الوزن والموضوع الذى ينظم فيه فيقول (محمد سليمان الأحمد) :

في كل قافية حياة تجتلى ومنى تضوع وزفرة تتردد[2]

فمما لا شك فيه أن حسن الاختيار والتوفيق فيه يضمن للقصائد الخلود وسرعة الذيوع والانتشار وفى هذا المعنى يحدثنا الشاعر (بشارة الخورى) قائلا:

قيثارة النيل كم غنيت قافية في مسمع الدهر مسراها وخاطره[3]

وهكذا تحدثنا في الصفحات السابقة عن القسم الأول من هذه الدراسة حيث تناولنا حديث الشعراء عن المحاور والقضايا والمضامين، والآن جاء دور تقييم حديث هؤلاء الشعراء الباكين لشوقي فنيا، حيث يدور الحديث عن اللغة ومستوياتها والظواهر الأسلوبية، ثم الصورة الفنية وما تنوع على أساسها، إلى أن ننهى الحديث هنا بكلمة في الإيقاع والموسيقى، هذا ما نعرض له في الصفحات التالية إن شاء الله تعالى .

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٩.
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥١٦.
(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥١٦.

القسم الثاني

التقويم الفني والنقدي

أولا : المعجم الشعرى :

إن من أهم ما تتميز به لغة المراثى عموما السهولة والوضوح والبعد عن الغريب المتقعر وبخاصة في العصر الحديث، فحسب الراثى جلالة الموت، وفداحة الخطب وهول الموقف، وعظم المصاب، فالدافع للرثاء الحزن والأسى على الفقيد لا سيما إذا كان من الشخصيات العزيزة على النفس القريبة من القلب، فهؤلاء الشعراء الباكين لشوقي اتسمت ألفاظهم بالسهولة والوضوح تارة وبالجزالة والرصانة أخرى، حيث وضعت إدارة مجلة أبولو شروطا صارمة في القصائد والشعراء الذين تتولى المجلة النشر لهم بخصوص وفاة أحمد شوقي، فليس أى شاعر أو أى قصيدة تحظى بالنشر فيتلك المجلة في رثاء أمير الشعراء؛ ولهذا وجدنا كل المراثى الشعرية التي رُثِى بها شوقي قد خلت ألفاظها من العامية والسطحية، وخاصة أن جانبا كبيرا من هذه المراثى كانت حديثا عن شعر (شوقي) وجعله أنموذجا يحتذى ؛ لذا رأوا دولة الشعر تنهار بعد موت شوقي، وصرحه الشعرى قد تقوض .

هذا إلى جانب أن لغة هؤلاء الشعراء قد كشفت عن صدق عواطفهم تجاه فقيدهم – فقيد العروبة – وأبانت عن نفوس مكلومة ملتاعة، أضناها الفقد والرحيل، وعن عواطف غائمة حزينة قد أفصحت بكل أمانة وصدق نفسية عن هؤلاء المبدعين، الذين كانوا في مجملهم أصدقاء محبين للفقيد .

فمن النماذج الدالة على الجزالة والرصانة الذى تتآزر فيه المفردات، وتترابط الجمل يقول (على الجارم):

أيها الراحل الكريم لقد كن ... ت سواد العيون أو إنسانه
نم قريراً في جنة الخلد، وأنعم ... برضا الله، واغتنم غفرانه
والتمس نفحة الرسول، وطارح ... في أفانين مدحه حسانه

كيف يوفى الشعر الذى ملك الشع ر، وألقـــى لغـــيره أوزانـــه ؟
ورثـــاء البيـــان جهـــد مقـــل للـــذى خلـــد الزمـــان بيانـــه[1]

في الأبيات بكاء مرير على (شوقي) وحديث عن الشعر بعده وكيف أنه لا يوفيه حق رثائه مهما بلغ غاية البيان، فما هذا الرثاء إلا قطرة من فيض بحره ، فكم مدح وكم رثى، وما ترك خلفه من أشعار غاية في البلاغة والفصاحة كفيلة بتخليد ذكره، ويلا حظ توشيح الأبيات بمفردات تحمل الهوية العربية والإسلامية مثل : (الراحل الكريم – نم قريرا – جنة الخلد– رضا الله – اغتنم غفرانه – نفحة الرسول – مدحه حسانه – ملك الشعر – أوزانه– رثاء– البيان – جهد مقل – بيانه) .

ومن هذه النماذج الراقية التي تتسم بالقوة والجزالة والرصانة وشدة الأسر ومتانة السبك ما جاء في قصيدة (خليل مطران) (النيل الخالد) وهو يتحدث عن أمير الشعراء قائلا :

مهلا أمير الشعراء غير مدافع ومعـــز دولتـــه بغـــير مـــراء
كم أمة كانت على قدر الهوى ترجوك ما شاءت لطول بقاء
متمكنـــا مـــن نفســـها إيمانهـــا أن لم تكـــن ممـــن حيـــوا فنـــاء
فإذا المنايا لم تزل حرب المنى وإذا الرزيئـــة فـــوق كـــل عـــزاء
في مصر بل في الشرق منها لوعة سدت على السلوان كل فضاء[2]

الأبيات السابقة تقطر ألما وحزنا على فقيد مصر والأمة العربية إنه أمير الشعراء بلا منازع، لقد بدا لنا ذلك من خلال حديث الشاعر عن قيمة شوقي الشعرية بالنسبة لمصر خاصة وللأمة العربية بصفة عامة، حيث ذكر ما خلفه من ميراث شعري تعتز به أى أمة وتفتخر، متمنية طول بقائه مستخدما في إطار ذلك من مفردات وتراكيب مثل (مهلا – أمير الشعراء –

(١) ديوان على الجارم: ٢٩٢ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٧.

معز دولته – المنايا – طول بقاء –فناء – الرزيئة – عزاء – لوعة – المنايا) لهى مستلة من قاموس القصيدة الرثائية، حيث جاءت لتكشف عن لوعة الشاعر ومدى حزنه على أمير الشعراء .

ومن النماذج التي تدل على النمط السهل الواضح الذى يبعد فيه الشاعر عن الابتذال والإسفاف، والغرابة والتقعر والحوشية – وهو ما يكثر في حديث الشعراء عن شعر (شوقي) في إطار رثائهم له – بل هو النمط السائد والمسيطر، وهذا أمر طبيعي؛ لأنه هو المناسب لحالة الحزن، فمن ذلك قول الشاعر (إبراهيم زكى):

كيف أرثيك يا أمير القوافي أبدمعي ؟– والدمع ليس كفيا
أم بشعري ؟ والشعر بعدك أضحى ليس يشفى في القلب داء دويا
ودولت الشعر بعد فقدك دالت وطوى الدهر عصرها الذهبيا
وإذا الدهر بعد ذلك دهر عاش فيه رب الخيال شقيا
وإذا أنت بعد ذلك ذكرى تعمر القلب بكرة وعشيا[1]

فألفاظ الأبيات السابقة واضحة الدلالة، إذ الشاعر في حالة حزن عميق لفقده أمير الشعراء وما آلت إليه دولة الشعر بعده ، ومن ثم فالشاعر في موقف بعيد كل البعد عن التكلف، ومحاولة استرجاع الموروث اللفظى الذى يستدعى من المتلقى أن يرجع إلى المعاجم اللغوية لفك رموز تلك الألفاظ والوقوف على معانيها، وهنا تحدث القطيعة بين الشاعر والمتلقي ويضيع استشعار الموقف الذى قيلت فيه القصيدة .

وهاهو الشاعر (حليم دموس) يفتتح قصيدته (إلى شاعر الخلد) بتصوير فجيعة المشرق العربي– رواة لشعره بلغاء وفصحاء– وما تركه الفقيد من مآثره وآثار وروائع، وجاه وأمجاد، وفى إطار ذلك نجد الشاعر يمزج بين

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول –٦١٩ .

القديم والحديث محاكيا لشوقي في بعض الأحيان، وذلك في أسلوب واضح بعيد عن الابتذال والغرابة والغموض معا، يقول :

ما أطلعت مثل شوقي أمة العرب ... شمس من الشرق فوق السبع الشهب
هى العروش على الأسياف قائمة ... وعرش شوقي على الأقلام والكتب
سل البلاغة كم ألقت مقالدها ... والعبقري في محرابه الأشب
رواة أبياته في كل حاضرة ... وجند آياته في كل مغترب
قالت قوافيه للأهرام هامسة ... كم بيننا في خلد الذكر من النسب
شعر تنزل عن وحى وعاطفة ... من سدرة المنتهى من أرفع القبب
بنى فمكن حتى صان دولته ... جرى فغبر حتى فاز بالقصب
مشى مع المتنبى في روائعه ... ونال عن شكسبير راية الغلب
أعاد خيمة ليلى فهى خافقة ... بقلب قيس الهوى مشدود الطنب
وهز قلب كليوبطرا وصاحبها ... كأن عهدها عن مصر لم يغب
عصر لشوقي: تساوى أوائله ... وفى أواخره ما جاء من عجب
قال انتهيت وأنى ينتهى وله ... ملك عريض وجاه واسع الحسب
فتح مبين وأيام محجلة ... والفتح بالكتب مثل الفتح بالقضب[1]

فمن الواضح من الأبيات السابقة أن الشاعر في حديثه عن موهبة شوقي الشعرية، وما خلفه من آثار رائعة ، قد استخدم ألفاظا واضحة الدلالة على معانيها، لكن قد يأتي ببعض الألفاظ التراثية لتلائم أعمال شوقي التي استلهم مادتها من التراث القديم وذلك مثل: (الأشب– الطنب – القضب)، كما نجده في الشطر الثاني من البيت الأخير يحاكى (شوقي) كما جاء في قوله:

لا تَخْفِلِي بجنَاها أو جِنايتِها ... (الموتُ بالزَّهْرِ مِثلُ الموتِ بالفَحَمِ)

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٥ .

وخلاصة القول: إن الشعراء الباكين لشوقي كانوا يستخدمون معجما شعريا عند حديثهم عن شعره يتسم بالسهولة والوضوح، كما يتسم بالجزالة والرصانة والقوة، كما أنه بعيد كل البعد عن الغرابة والابتذال والعامية، كما نلاحظ من خلال هذه النماذج والنماذج التي عرضنا لها في القسم الأول لهذه الدراسة أن لهؤلاء الشعراء في هذا الصدد مفردات وتراكيب خاصة بهم قد نعتوا بها (شوقي) بعد وفاته للدلالة على موهبته الشعرية الفذة التي لا يمكن أن تتكرر وذلك مثل: (أمير الشعراء – أمير البيان – أبا الشعر – دولة الشعر – فقيد الشعر– شاعر الكون – شاعر الخلود – قبر العبقرية – فخر النيل – شاعر الخلد – النيل الخالد – مأتم الشعر –قيثارة النيل –شاعر الدنيا –نبي الشعر – عرش تهدم – الفجيعة المخرسة –موت الشاعر – معجزة الشعر– الطائر الغِّرد – الساحر الفنان – الشاعر الموهوب –حلم تعجل – وحيد عصرك – مقيل الشعر –مقيل القريض – شاعر الإنسانية – الحارس الأمين – أمير المشردين – دولة الأدب – أمير القوافى– مأتم الطبيعة – قيثار الكون – مجير الفصحى –معان شوقية–بحتري عصره – الراحل الكريم) ومن خلال هذا المعجم الشعري الفريد يتضح لنا شدة إعجاب هؤلاء الشعراء بشعر (شوقي) والاعتراف بفضله عليهم وعلى الشعر وعلى الأمة العربية، وذلك بالمحافظة على لغة الشعر المتوارثة التى تحفظ الهوية العربية، كما يعكس مدى الحزن وكثرة التأسي على موت الفقيد، وأنه قد ترك تراثا شعريا كتب له ولأمته الشموخ والخلود على مر العصور والدهور .

ثانياً : أهم الظواهر الأسلوبية:

١- التكرار.

وهو من أهم الظواهر الأسلوبية التي لحظت انتشارها في بكائيات الشعراء لأحمد شوقي وبخاصة عند الحديث عن شعره ولعل السبب وراء ذلك يرجع إلى أن "التكرار من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدى في القصيدة دورا تعبيرياً واضحاً، فتكرار لفظ ما أو عبارة ما، يوحى بشكل أولى بسيطرة

هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى "[١] .

فيلجأ الشاعر إلى التكرار حينما تلح على ذهنه فكرة ما، فتتثاقل على وجدانه، ويريد طرحها عنه، وربما عمد إليه للتخفيف على نفسه المكلومة، أو التأكيد على فكرة معينة، ومن ثم يعاود تكرارها كي تثبت في الأذهان، ولهذا كان من أهم وظائف التكرار التأثير على المتلقى تأثيرات تتصل بالأحاسيس والمشاعر والانفعالات المختلفة التي يمارسها الشاعر ويفجرها النص بعلاقاته المتشابكة.

وعلى كل فالتكرار يمثل بشكل كبير إحدى " الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره لتجربته الشعرية، فالشاعر حين يكرر يعكس أهمية ما يكرر، مع الاهتمام بما بعده، حتى تتجدد العلاقات وتثرى الدلالات، مما يسهم في نمو البناء الشعرى "[٢]كما يمثل أيضا " لازمة حتمية أو موسيقية تتردد بين وقت وآخر ؛ كي تحفظ الإيقاع الأساسي للقصيدة "[٣] .

ومعظم هذه القيم الجمالية تنطبق تماما على ما جاء في مراثى الشعراء لشوقي عند الحديث عن شعره وموهبته الفريدة فنجد على سبيل المثال الشاعر القروى (بشار الخورى) وهو يتحدث عن شعره المصري، فيقول :

يا مصر ما انفتحت عين على حسن إلا وأطلعت ألفا من نظائره

---

(١) عن بناء القصيد العربي الحديثة د/ على عشري زايد – الطبع الرابعة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، مكتبة الشباب– القاهر – : ٦٥ .

(٢) ملامح التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الرحمن صالح العشماوى– دراسة في ديوان (القدس أنت) د/ ياسر عكاشة حامد مصطفى – بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامي والعربية للبنات بالمنصورة – العدد العشرون – الجزء الثاني : صـ ٢٨٢ .

(٣) الشعر وهموم الإنسان المعاصر د/ إخلاص عمارة – الطبع الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، مكتبة الآداب – القاهر – صـ : ١٨٧.

ولا تفتقت الأفكار عن أدب إلا وأنبت روضا من بواكره
لبان يا مصر مصر في مآتمه كما علمت، ومصر في بشائره
هل كان قلبك إلا في جوانحه أو كان دمعك إلا في محاجره
أو كان منبت مصر غير منبته أو كان شاعر مصر غير شاعره؟!(١)

لقد ذكرت من قبل أن مصر كانت في قلب (شوقي) وعقله، كما أنه كان في قلب أهلها وبين جوانحهم، فهام بها عشقا و أولاها في شعره حبا، فوهبته بسحر جمالها وطيب عبيرها موهبة أدبية، حيث فتقت أفكاره وأطلقت لسانه، وفى إطار إثبات ذلك نجد الشاعر يكرر اسم (مصر) ست مرات في الأبيات الخمس السابقة، وفى كل مرة تفيد الكلمة معنى جديداً، ومن ثم تبدو هذه الكلمة وكأنها حجر زاوية النص، ومحور ارتكازه الأصيل، هذا فضلا عما ورد متناثرا في باقى القصيدة وذلك تأثراً بما تأثر به(شوقي).

كما نجد الشاعر (محمود غنيم) وهو يتحدث عن (شوقي)في سبيل بنائه لصرح أدبي ، ومجد شعري فريد ، وذلك في قصيدته (عرش يتهدم)، إذ به بعد افتتاحه لتلك القصيدة بمطلعٍ دامٍ باكٍ يختتمها بهذه الأبيات التي كرر فيها عبارة(مات شوقي) مرتين، كما كرر لفظة (الشاعر) مرتين حيث يقول:

مات شوقي ففى سبيل المعالى مهجة قد أسالها في بيانه
ليس شعرا ما ليس ينحته الشا عر نحتا من قلبه وجنانه
كل بيت لشاعر قطرة من دمه قد تدفقت من لسانه
مات شوقي وخلدته القوافى فأطلوا عليه من ديوانه!(٢)

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥١٥.
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٢.

لقد أراد الشاعر أن يؤكد على أن (شوقي) وإن كان قد مات وانتقل بجسده من دنيانا إلا أنه مازال حيا ولم يمت في وجداننا؛ لأنه بنى مجدا شعرياً كان قطعة من نفسه ودمه، أخلص لذاك المجد فخلد ذكره، فمن أراد أن يطل على (شوقي) فليطالع ديوانه، ومن هذا القبيل قول الشاعر (مختار الوكيل) :

طب رقادا يا موقظ الحس في الشرق، فقد خلف القريض وأنسل
أنت ما متت رغم موتك إذ ليس بميت من شعره الدهر رتل
أنت باق ما دام في الناس شعر يتسامى وأنفس تتغزل
أنت باق في الدوح والروض والماء وفى الحق والهوى تتمثل[1]

كما نجد الفجيعة والآهات والزفرات والبكاء والعويل على أمير الشعراء ورسول الشعب ، كما عبر الشاعر (مصطفى كامل الشناوى)في قصيدته (معجزة الشعر)قائلا:

أيها الباكي على شوقي تكا د تذوب من طول البكاء نحولا
تبكى مصاب الشرق في الباني له مجداً أشم على الزمان أثيلا
تبكى مصاب الشرق في الباني صرحا يرد الطرف عنه إكليلا
أسدى له قصصا يسيل سلاسة ويفيض موعظة ويعذب قيلا
تبكى رسول الشعب زال خياله عنا ولم يك شعره ليزولا
تبكى النبوغ هوى بشوقي نجمه يا أيها الباكي : بذلت قليلاً
ما كنت شوقي واحداً في جيلنا فرداً ولكن كنت وحدك جيلاً[2]

لقد كرر الشاعر مادة البكاء سبع مرات، كما كرر الشطر الأول من البيتين الثاني والثالث مرتين (تبكى مصاب الشرق في الباني) للدلالة على

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٠ .
(٢) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦٠٨ .

الحزن الشديد والألم لفراق شاعر عبقري خلف مجدا، وصرحا أدبيا له ولأمته العربية باقيا لا يفنى على مر السنين ولا يذهب مع الأيام، فالشعراء الراثون لشوقي يرونه فردا بأمة بل هو جيل بأكمله، تنتقل عبر الأيام سيرته الزكية عن طريق فنه الطريف إلى الأجيال التالية، هذا ما لاحظناه أيضا في قصيدة (الساحر) للشاعر (إبراهيم زكى)، إذ نجده يقول :

أرسلوا الدمع واذرفوه سخيا وانـدبوا اليوم شاعراً عبقريا
لم يكن واحدا يهون ولكن كان إذ كان واحداً أوحديًّا
لم يكن واحدا يهون ولكن كان جيلا قد انطوى أبديا
لم يكن واحدا يحيط به القو ل وتبنى عنه المقالة شيًّا
إنما كان عالما من فنون وشعور مازال ينبض حيا
ودولة الشعر بعد فقدك دالت وطوى الدهر عصرا ذهبيا[1]

فعن طريق التكرار يتضح لنا هذه الفكرة الملحة على معظم الشعراء الراثين لشوقي عند الحديث عن موهبته الشعرية ؛ أنهم يرونه عالما ملئ بالفنون مؤسسا لدول الشعر في العصر الحديث، ومن هذا القبيل ما جاء في قصيدة (وقفة على قبر شوقي) للشاعر طلبة محمد عبده، إذ يقول:

أيها القبر أتعلم أن في ك رفاتا هو ميراث العرب
فيك يا قبر أمان طالما سهر الجيل عليها وتعب
فيك يا قبر دفين خالد كان بالأمس إلى المجد يثب
فيك يا قبر أنيس ساحر فكه المحضر بسام طرب
فيك فخر النيل يا قبر فته وافخر اليوم على الدنيا وطب![2]

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول – ٦١٨ – ٦١٩ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٧ .

ولعل ما أوردنا من نماذج للتكرار فيه غناء عما بقى منه، إذ الحديث عنه يطول، لكننا نكتفى بهذا القدر ؛ لننتقل إلى لون آخر من الأساليب التي انتشرت في شعر الشعراء الراثين لشوقي عند حديثهم عن شعره .

٢- نداء شوقي وخطابه.

ومن الأساليب التي انتشرت في شعر الشعراء الراثين لشوقي عند حديثهم عن شعره(النداء) حيث نرى الشاعر ينادى شوقيا ويخاطبه وكأنه حي حاضر معه يسمع ويجيب، والشعراء إنما يلجأون إلى هذا الأسلوب "استحضارا لصور الفقيد واستئناسا بالحديث معه، وتقليصا لشعورهم بالفقد فكأنه حي لا يزال يكلمهم ويكلمونه، ويحاورهم ويحاورونه"(١).

ونداء الفقيد له إيحاءات ودلالات نفسية عميقة تدل على قلب مثقل بالهموم محزون لفداحة الخطب وعظم البلوى وهول المصاب لا سيما إذا كان الفقيد شخصا ملئ الزمان وسمعه، له مكانة كبرى كأمير الشعراء (شوقي) نجد ذلك في نداء الشاعر القروى (بشارة الخورى):

شوقي !.. سل الأفق هل ثارت عجاجته لما ثوى المتنبى في حفائره
شوقي!..سلوا البحر هل جنت عواصفه لما كبا بابن سينا جد عاثره
شوقي!..سلوا الليل هل كانت كواكبه لما قضى غير شوك في نواظره
في مأتم الشعر والأقلام مطرقة فإن أردته غصت في محابره!(٢)

فالشاعر يخاطب شوقيا وينادى عليه مكررا ذلك مع إدراكه تماما بأنه لن يجيب، وما ذلك إلا لهول الفاجعة والذهول الذى أصابه جراء فقده، بل لعله قد أنكر موته ولم يصدق وقوعه، ونلحظ أن حرف النداء المقدر هنا هو (يا)

(١)شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في العصر الأموي د/ محمد أبو المجد على – طبعة دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م: صـ ٢١٩ بتصرف.
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول :٥١٢– ٥١٣ .

الموضوع لنداء البعيد، وكأنه أراد أن يؤكد على علو شأنه وبعد مكانته الشعرية، وخلو الساحة من فارسها المغوار .

ومن قبيل مخاطبته وندائه باسمه مصرحا به قول الشاعر مختار الوكيل:

(أحمدٌ) يا وحيد عصرك في الشع ـر، ألا نفحة من الشعر ترسل
أتصامت عن نداء الذكان إذا ما تلى قصدك هلل ؟!
يا مقيل القريض من عثرته الضع ف وحامى البيان في كل محفل[1]

فالشاعر يخاطب شوقيا مصرحا باسمه ؛ وذلك لأن مصابه فيه كان عظيما، حيث لم يكن فقده فقدا عاديا، فشوقى ليس بالشخص العادي ، فموته كان طامة كبرى، لما له من فضل كبير على الشعر والشعراء ، ومن يعرف هذا القدر سوى شاعر سلك دروب الشعر وفهم مراميه.

وإيمانا من الشعراء بموهبة (شوقي) الشعرية ودوره في إحيائه وإثرائه وتجويده والمحافظة على ثوابته– هذا فضلا عن شخصيته الوطنية المحبوبة – كانوا يرون فيه الرمز والنجم الذى لا يغيب ؛ ومن ثم أكثروا من ندائه في بكائياتهم له وبخاصة عندما يتحدثون عن شعره ؛ لذا نلاحظ في العديد من النماذج ينادونه بإضافة الشعر إليه، أو ما يدل على ذلك كما نجد في نداء الشاعر (محمد فريد عبد القادر) له قائلا:

يا أمير الشعر هل يأسى الذي ساهم الأبطال في المجد الأثيل؟![2]

ومنه قول الشاعر (بدوى الجبل) أيضا

يا شاعر الدنيا لقد أسكرتها ماذا تغنيها وماذا تنشد ؟!
يا شاعر الدنيا نديك حافل والجمع مصغ والمواكب حشد[3]

ومنه قول الشاعر (مختار الوكيل) أيضا:

---

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول : ٦٠٩ – ٦٠٨ .
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٨.
(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥١٧.

يا أبا الشعر إن طفلك أمسى خائرا الروح عانيا يتململم[١]

ولا يخفى ما في البيت السابق من مراعاة نظير حيث دعاه بأبى الشعر، وهو ما يتلاءم مع ما يختاره للطفل من أوزان خفيفة وموضوعات شيقة، وكلمات سهلة وبسيطة، ومن ذلك أيضا قول الشاعر (هاشم عبد الحي):

يا أمير البيان نظما ونثرا وسرى الخيال خلف المرائي[٢]

وأرى في هذه النداءات للراحل والحديث معه متنفسا للشعراء الراثين له، حيث كانت الفاجعة كبرى بموته، فقد خلت الساحة الأدبية من فارسها المبدع شعرا ونثرا، وخيالا خلاقا عاش به في وجدان جميع الناس، ونجما تهاوى من فلكه ؛ ولهذا نجد الشاعر (حليم موسى) يناديه بشاعر الخلد في قوله:

يا شاعر الخلد! .. والدنيا تشيعه أنشد قصيدتك الكبرى على الصحب[٣]

فكانوا يرون له الفضل على القصيدة العربية، فكان دائم التفكير فيما يحفظ لها هويتها، كما لا يألوه الجهد في تجديدها وتطويرها، فيناديه الشاعر (معروف الرصافى) قائلا :

يا راحلا ترك القوافي بعده محتاجة المحيا إلى تفكيره[٤]

كما نرى هذا الزخم من الألم والحزن المتراكم على فقيد الشعر وأميره في نداء الشاعر إبراهيم ناجى على (شوقي)وخطابه له قائلا:

قم يا فقيد الشعر وان ظر أى حفل رثاء
أمم يصبر بعضها بعضا، وهيهات العزاء!

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول :٥١٢- ٥١٣ .
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٤.
(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٦ .
(٤) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٩٣ .

هـــذى الجمـــوع الباكيـــات السـاخطات علـــى القضـــاء[1]

كما نجد الشعراء لشدة الحزن عليه والألم الذى قد مزق قلوبهم لفقدهم كبيرهم وأميرهم؛فينادون أهل مصر تارة، وربما نادوا الموت ذاته تارة أخرى، وقد ينادون الباكي لشوقي للمواساة والعزاء، وقد ينادون اليوم الذى مات فيه، فمن ندائهم لأهل مصر عزاء وتصبرا قول الشاعر (معروف الرصافي):

يا أهل مصر عزاءكم ، فمصابكم أمر قضاه الله في تقديره

الشعر قد ثلت بمصر عروشه بوفاة سيده وموت أميره[2]

ومن فرط الحزن ينادون الموت ذاته، وذلك ما جاء فيقول الشاعر (محمود غنيم) :

أيها الموت ! من نعيت ؟ رويدا كاد قلبي يكف عن خفقانه

حين قالوا : قضى أمير القوافي حل يوم الحساب قبل أوانه[3]

ومن ندائهم لليوم الذى مات فيه قول الشاعر :

يا يوم شوقي لم نجد لك في الزمان، ولا لشوقي في الزمان مثيلا

روعت دنيا ما يزال يروعها ألاَّ ترى عنه الحـياة بديـــلا

قد مد في سبب الحياة بشعره وأقام فـــوق جبيـــنها إكلـيلا[4]

٣- سيميائية العناوين:

لقد غلب لون القصيد على تلك البكائيات التي تحدث فيها الشعراء عن شعر أحمد شوقي، ومن أهم السمات المميزة لتلك القصائد، أنه قد حرص أصحابها على وضع عناوين تتفاعل مع عوالمها، نابضة موحية بمضامينها وأفكارها التي يتهلل لها القارئ حينما يتعبد في محرابها ويسرى خلف خيالها،

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٩ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٩٣ .
(٣) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٠.
(٤) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول –٦٠٨ .

وهو أمر تميزت به القصيد العربية المعاصرة، بينما كانت بمنأى عنه في السابق من الجاهلي حتى " قبل (شوقي) وجيله حيث كانت القصيدة تتشكل من عدة محاور، تستوعب أكثر من قضية أو موضوع ؛ لتكون وفية بذلك لتقاليد عمود الشعر العربى القديم، وليس غريبا والأمر كذلك أن تخلو كثير من قصائد شوقي وجيله من العنوان بل إن الديوان نفسه (الشوقيات) يحمل تسمية تدل على اسم الشاعر لا على شعره، وقد اختلف الحال لدى كل من الشاعر الرومانسي والمعاصر (الحر) ؛ حيث صار العنوان عندهما عنصرا عضويا فاعلا في القصيدة، بل في كل ديوان يصدره على حدة، والشاعر لا يختار العنوان –في قصيدة أو ديوان – اعتباطا أو مصادفة، إنما يتخيره بعد طول تأمل لأعماق وأبعاد التجارب ؛ بحيث يأتي العنوان دالاً بشكل واضح – وربما مباشر – على ما أراد أن يستثيره لدى المتلقى "[1].

والناظر في عناوين القصائد موضع الدراسة يجد أنها تثير في المتلقى أمرين الأول :الحزن الشديد على فقيد الأمة شوقي، وذلك مثل: (عرش يتهدم)، و(الفجيعة المخرسة)، و (مأتم الطبيعة)، و(قبر الفقيد)...إلخ، والثاني: ما يدل على عبقرية(شوقي) وموهبته الشعرية المنقطعة النظير، وذلك مثل: (هبة السماء)، و (شاعر الخلد)، و (شاعر الدنيا)، و (وشاعر الكون)، و(نبى الشعر)، و (أمير البيان)، و (الساحر)، و(شاعر الإنسانية) ...إلخ.

كما لاحظنا على هذه العناوين أنها جاءت مستلة من شطر بيت في القصيدة ذاتها، أو دل عليها معنى بيت أو مجموعة أبيات وهو أمر له جذوره " في الشعر القديم، حيث قد وجدنا من يقول مثلا : قصيدة (بانت سعاد)،

(١) دموع الشعراء على الراحل باكثير بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق للدكتور مصطفى مطاوع – العدد الخامس عشر – الجزء السابع عام ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م : صـ ٧٦ .

وقصيدة (بان الخليط)، وقصيدة (صنت نفسى)، وقصيدة (أضحى التنائي) .... إلخ وكلها مستلة من أبيات القصائد وأشطارها "[١].

فقصيدة (محمد عثمان) محجوب عنوانها (نبي الشعر) مأخوذ من البيت السابع القائل :

بالأمس خص نبى الشعر مرتبة واليوم يرفعه عنا ويعليه[٢]

ويقصد بنبى الشعر هنا (شوقي) ولا يخفى ما في العنوان من دلالات وإيحاءات نفسية قد اتكأت عليه القصيدة بأكملها .

وعنوان قصيدة الشاعر (إبراهيم ناجى) : (هبة السماء) مأخوذ من قوله في أحد أبيات القصيدة :

فكأنما هبة السماء قد استردتها السماء[٣]

وعنوان قصيدة الشاعر (مختار الوكيل): (حلم تعجل) مأخوذ من مطلع القصيدة القائل :

فارق الروض مسرعا يتعجل لم يقف لحظة ولم يتمهل

نزل الروض في دجى الليل كالحلـ ـم وخلاه حينما الصبح أقبل[٤]

ولا يبعد عنوان قصيدة الشاعر (هاشم عبد الحي) (شاعر الكون) عن هذا الصنيع، فهو مأخوذ من مطلع القصيدة القائل :

شاعر الكون عز فيك عزائي كيف مثلى يفيك حق الرثاء ؟![٥]

ثالثا : الصورة الشعرية :

الخيال الواسع والتهويل في رسم صورة المرثى " والقدرة على تحويل المجرد إلى محسوس، والتركيز على المجاز أو التصوير البياني (تشبيها كان

(١) دموع الشعراء على الراحل باكثير: صـ ٧٨ .
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٥.
(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٨ .
(٤) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول –٦٠٩ .
(٥) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٠.

أو استعارة)، مع الاعتماد على الحواس هو أهم ما يميز صور قصيدة الرثاء"[١] فالمتمعن في القصائد التي هى قيد الدراسة نجد أن ناظميها قد أوغلوا في رسم صورة أحمد شوقي؛ وذلك عند الحديث عن أعماله الشعرية وموهبته الفريدة، فمثلا نجدهم يعبرون عن الساحة الفنية زمن شوقي بدولة الشعر عليه، كما يطلقوان هذا التعبير المجازى المبالغ فيه على شوقي ذاته، والشواهد الشعرية التي بين أيدينا الدالة على ذلك كثيرة فمن ذلك قول الشاعر إبراهيم ناجى:

والهفتاه لمصر والشرق ولدولة الأشعار والأدب

دنيا تقر اليوم في لحد وصحيفة طويت من المجد[٢]

ولا يخفى ما في هذه الصورة من مبالغة وتهويل حيث وسم الشاعر الساحة الفنية التي كان يجول فيها (شوقي) بدولة الأشعار والأدب، كما شبه شوقي بدنيا يسوى عليها اللحد وصفحة تطوى من المجد، بل يراه في القصيدة ذاتها أنه أمة قد ذهبت لعبقريته حيث يقول :

وما كنت إلا أمة ذهبت والعبقرية أمة الأمم[٣]

وعنده كذلك في قصيدة أخرى فيبدو– وهو يرقب مصيره وخلو الساحة الفنية من إبداعه– كضوء أضاء للعالمين دروبهم ثم اختفى فجأة ليخلفه الظلام الدامس حيث يقول في قصيدة هبة السماء :

قبس أضاء العالمين كما تضئ لهم ذكاء

ثم اختفى خلف الغيوب مخلفا ظلم المساء[٤]

(١) دموع الشعراء على الراحل باكثير: صـ ٧٨ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٢٩ .
(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٣٢٩ .
(٤) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٨ .

بل يراه منهلا عذبا يرده الظمأى لتستقى من معينه الذى لا ينضب، فكيف به إذا ولى ملبيا نداء ربه ونضب هذا المعين فلم يعد يجود إلا بالقطرات المعدودة، وفى ذلك إشارة إلى حال الساحة الفنية في وجود شوقي مقارنة بحالها بعد موته، فالتهويل في الصورة أوضح هذه المفارقة العجيبة هكذا عبر ناجى في هذه الصورة:

واهـــا لكـــأس كـــالخلود ومنهـــل فيـــه الشـــفاء
كنـــا إذا ضـــج الفـــؤاد وضـــاق بالـــدنيا ونـــاء
نمضـــى إليـــه فنســـتقى ونعـــب منـــه كمـــا نشـــاء
فـــاليوم إذا شـــط المـــزار بكـــم وقـــد عـــز اللقـــاء
وبخلـــتم بخـــل الضـــنين فحســـبنا قطـــرات مـــاء[1]

أما (خليل مطران) وهو يتحدث عن أمير الشعراء وفراقه الذى أحدث تصدعا للقلوب، فيرى الموت شخصا غاشما يعلن الحرب على أمانى البشر، فقد كانت أمنية الشاعر وغيره من الشعراء طول البقاء لشوقي، إذ إنه يرفع قدر الشعر ويعز دولته بلا منازع ليس ذلك في مصر فحسب بل في المشرق العربى بأسره، ولكن هيهات هيهات:

مهلا أمير الشعراء غير مدافع ومعـــز دولتـــه بغـــير مـــراء
كم أمة كانت على قدر الهوى ترجوك ما شاءت لطول بقاء
متمكنـــا مـــن نفســـها إيمانهـــا أن لم تكـــن ممـــن حيـــوا فنـــاء
فإذا المنايا لم تزل حرب المنى وإذا الرزيئـــة فـــوق كـــل عـــزاء
في مصر بل في الشرق منها لوعة سدت على السلوان كل فضاء[2]

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٧٨ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٧ .

بل نجد الشعراء الراثين لشوقي يصورون الشعر بعده بإنسان قد فجع بموته، ويخلعون عليه من صفات الإنسان من البكاء والنحيب، كما يرونه نجما قد أفل مصورين قصائده بالشمس والقمر بعد غروبهما، هذا ما جاء على لسان (معروف الرصافى) فى قوله :

يا نيرا فجع القريض بموته فبكته عين وزينه وكسيره

وخلت سماء الشعر بعد أفوله من مشروعات شموسه وبدوره[1]

ثم استدرك قائلا :

ما مات من تركت لنا أقلامه صورا خوالد من بنات ضميره

صورا تمثل ذاته وصفاته حتى يقمن لنا مقام نشوره

فكأنه وهو الدفين بقبره حى يعيش بحزنه وسروره

وكأنه في القوم ساعة حفلهم متكلم بنظيمه ونثيره[2]

فالأبيات حافلة بالصور البيانية الرائعة (تشبيها واستعارة)، كما تشتمل على وسائل متعددة لتحسين الصورة كالتجسيم والتشخيص ، والطباق، والمقابلة، ولنركز جيدا في هذه الصورة الرائعة التي يصور فيها الشاعر خليل مطران شعر شوقي، وما فيه من رقة وسلاسة، وما فيها من تراسل للحواس حيث يجعل للسمع ما للتذوق، ويثبت للمس ما للعين، فيقول :

شعر سرى مسرى النسيم بلطفه وصفا بروعته صفاء الماء

ترد العيون عيونه مشتفة ويصيب السمع فيه رى ظماء

ويكاد يلمس فيه مشهود الرؤى ويحس همس الظنفى الحوباء[3]

(١) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٩٢ .
(٢) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٩٢ .
(٣) مجلة أبولو العدد الرابع المجلد الأول – ٤٨٩ .

أما عن الصور الطريفة والمبتكرة – وهى قليلة جدا فعلى سبيل المثال نذكر منها هذه التي رمز الشاعر بها إلى آثار (شوقي) الشعرية الخالدة ودورها في الإصلاح يقول الشاعر فرحات عبد الخالق :

وكم صاغ شوقي من الزهر نظما يهب أريجا على كل أفق[1]

وما أجمل صورة الشاعر محمد فريد عبد القادر التي تصور فيها اللغة العربية وحالها إثر رحيل شوقي، حيث بدت كأم فقدت وحيدها، كم كانت تتمنى أن لا يتركها ويغادر، حتى يرحم أساها، ويرق لضعفها، فلقد كان بارا بها محافظا عليها فيقول:

بكت الضاد، فهل بارقة منك تهدينا إلى الصبر الجميل؟
أم مضى العهد ودالت للبلى قوة أوحت بيانا لرسول ؟
إنه الموت تحدى لغة في صميم القلب بالكلم الوبيل[2]

ولننظر إلى هذه الصور التى تشير إلى الصدق وغزارة الدموع، وتوشيح المراثى أو جراحات القلوب بكل ما يضمن الوفاء للفقيد، وهى صور تآزرت حتى كونت مشهدا باكيا، وأرى أنها صور مبتكرة ابتكرها الرومانسيون، إذ يجعلون الكون بكل مظاهره يبكى على الفقيد وشاعريته، وذلك ظاهر من عنوان القصيدة مأتم الطبيعة للشاعر الشاب وقتذاك محمود حسن إسماعيل، فيقول :

في نزوع يتلهى بالنغم
صارخا مما دهاه ..
من فناء وعدم ؟!
إنه يبكى الشاعرية
وخرير النهر في الوادي كأنغام النواح،

(١) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٢٨.
(٢) مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول –٥٣٣.

ومسيل الماء في جفن البطاح،
أدمع الكون وعبرات الطبيعة ...
كل طير ناح فيها ..ناعيا !
كل غصن مال فيها..راثيا !
كل نبع سال فيها ... باكياً!
عبرت يم المنايا وأعاصير الأسى ،
غالت الربان منها فهوت ..
ثكلى على شط المنون ..لاهفة
ترسل الأنات من قلب حزين .. هاتفه
كللوا النعش بريحان الغياض .. والنجود!
وادفنوه بين أزهار الرياض .. والورود!
ليضوع الطيب من أردانه فيها حيا ومماتا !
وانشدوا والطير في حفل الرثاء، كل صبح ومساء !
لم يمت شوقي وفى الشرق شعاع من سناه
سائلوا الأيام والأحلام والدنيا وما ضمت أفانين الحياة !
أين من قيثارة الكون نشيد كان يحبوها الهناء؟ !
واسمعوا فيها صداه (١)

وبعد هذا العرض السريع للصورة نلحظ تكرار جلها فعلى سبيل المثال: صورة تفجع القريض وبكائه على رحيل شوقي، وتقوض عرش الشعر وانهدامه، وغيرها صور سيطرت على معظم الشعراء الراثين لشوق وبخاصة عند الحديث عن شعره وآثاره الأدبية، ولا يخفى ما في ذلك من النقلة الفنية التي أحدثها في عالم الشعر حيث كان – يرحمه الله – عاملا من عوامل بعثه

(١) مجلة أبولو العدد السادس المجلد الأول : ٦١٩ – ٦٢٠ .

وازدهار، كما كان حافظ أمينا على أوزانه ولغته الفصيحة وهويته العربية، ومن ثم أحس الشعراء بالفراغ الذى تركه شوقي على الساحة الشعرية والأدبية بعد مغادرته ورحيله المفاجئ، كما نلحظ على تلك الصور المبالغة والتهويل في رسم صورة المرثى، وأيضا لمسنا أن جل هذه الصور الشعرية بمكوناتها وألوانها حتى الرامزة، كان قوامها التشبيه والاستعارة والكناية وما أشبه ذلك، ويبدو أن للمناسبة دخلا كبيرا في صياغة مثل هذه الصور .

رابعاً : كلمة في الإيقاع

وننهى هذا البحث بالحديث عن الموسيقى فإذا ما نظرنا في القصائد السبع والعشرين الباكية لشوقي التى فيها تحدث ناظموها عن شعره، حيث تبين لنا أن موسيقاها نابعة من تراثنا الشعرى، وأنها لم تحد عن السنن الخليلة في وحدة الوزن والقافية أو الرنة الموسيقية، اللهم إلا قصيدة واحدة وهى قصيدة (مأتم الطبيعة) لمحمود حسن إسماعيل أحد شعراء أبولو كان وقتها شاب في العشرين من عمره ولا أدرى أكان ذلك تعمدا منه أن يحطم القيود الخليلية وتمردا عليهاوهو يرثى أمير الشعراء أم لا ؟، وهل أراد توصيل فكرة التجديد من خلال تلك المناسبة ؟ ولا تبعد الإجابة عن قد يكون ، وفيما عدا ذلك نجد الشعراء الباكين لشوقي يؤثرون النظم على أبحر أكثر تلاؤما مع الرثاء، وموضوعات التي تحتاج إلى البحور الطويلة ذوات التفاعيل المنبسطة أو الممتدة، والثائرة المزمجرة التي لا تلبث أن تهدأ حتى تعاودها الثورة من جديد وهى على الترتيب بعد الحصر (الكامل – الخفيف – البسيط – الطويل – الرمل – الوافر – المديد – المتقارب) .

ويأتي بحر الكامل في صدارة البحور التي نظم فيها الشعراء الباكون لشوقي، وتفعيلاته (متفاعلن–متفاعلن–متفاعلن)، وقد بلغ عدد القصائد عشر وهى : (مرثية الدكتور ناجى – الصبح الداجى– قبر العبقرية – وقفة على قبر شوقي– هبة السماء – النيل الخالد –الشعر بعد كبيره وأميره – شاعر

الدنيا – معجزة الشعر – قصيدة لشاعرة أردنية لم يحدد اسمها – قصيدة رهب عبد الهادى).

ثم يأتى بعد ذلك في المرتبة الثانية بحر الخفيف وتفعيلاته (فاعلاتن – مستفع لن –فاعلاتن)، وبلغ عدد القصائد ست وهى: (شاعر الكون – عرش تهدم – حلم يتعجل – الساحر – شاعر الإنسانية – رثاء شوقي لعلى الجارم) .

واحتل البسيط المركز الثالث وتفعيلاته (مستفعلن– فاعلن – مستفعلن– فاعلن) وعدد القصائد التي نظمت عليه ثلاث وهى: (إلى شاعر الخلد –في ربى الخلد –نبى الشعر) .

ثم كان نصيب بحر الطويل قصيدتين وهما:(مرثية محرر أبولو – تكريم شوقي لعبد المطلب)، وأيضا قصيدتين لبحر الرمل وهما (وقف على قبر شوقي– مآتم الطبيعة) .

أما المديد فقد نظم على أوتار موسيقاه قصيدة واحدة وهى (موت الشاعر)، وقصيدة واحدة أيضا جاءت على بحر الوافر وهى قصيدة لعبد الفتاح الحديدي، وقصيدة واحدة أيضا نسجت على منوال بحر المتقارب وهى (الفجيعة المخرسة)، ومن الملاحظ على هذه البحور أنها تتسم بالسماح للشاعر أن يخرج ما في صدره من أهات وزفرات وعواطف وانفعالات الثكلى والأنين المنبعث من النفس المكلومة جراء فقد أمير الشعراء أحمد شوقي .

وفى نهاية المطاف يتسنى لنا أن نقول أنه على الرغم من كون معظمهم هؤلاء الشعراء ينتمون إلى مدارس أخرى غير مدرسة شوقي، إلا أنهم لم يذهب عن ذهنهم أنهم في حضرة إمام المحافظين على عمودية الشعر وبحوره الخليلية، وإن كان قد فارق الحياة، ومن ثم فلم يتمردوا على الشكل الموسيقى المتعارف عليه، فلم يكن لهم ليبتكروا بحرا جديدا، أو تفعيلة بلا جذور، بل حينما تمرد أحدهم وهو محمود حسن إسماعيل في قصيدته (مأتم الطبيعة) جاء بها على بحر الخفيف، وفيما عدا هذه القصيدة فقد حافظ هؤلاء

الشعراء على الشكل الخليلي التقليدي، وهو أمر طبيعي لشعراء – وإن كان تطلعهم نحو التجديد والخروج من عباءة (شوقي) – اتسم منهجهم بالأصالة والمحافظة وقوة الانتماء للثوابت والتراث العربى شكلا ومضمونا لا سيما أنهم ذكروا (شوقي) بهذا الأمر في رثائهم له .

أما قوافى القصائد السالفة الذكر فيلاحظ أنها جاءت مطلقة لتلائم حالة الحزن وتساعد على إخراج الآهات والزفرات، وهى في مجملها الكاف، والحاء، والباء، والهمزة، والهاء، والدال، واللام، والقاف، والنون، والياء، والجيم، ويلاحظ أن أكثرهن تكرارا قافيتا الهمزة والهاء، حيث قد تكررت كل منهما ست مرات، فهما أكثر ملاءمة للرثاء والبكاء كما ذكرت من قبل، كما أنهم لم يخرجوا عن النظام المتبع في الالتزام بقافية واحدة على مدار القصيدة إلا في قصيدتين فقط وهما : قصيدة مأتم الطبيعة لمحمود حسن إسماعيل، وقصيدة موت الشاعر لعبد الغنى الكبثى.

خاتمة البحث

بعد أن وفقني الله- ﷻ- لإتمام هذا البحث الذي تناول حديث الشعراء عن شعر (أحمد شوقي) قراءة في بكائياتهم عليه، فإنني أجمل بعض النتائج التي أسفر عنها البحث فيما يلي:

١- أبرزت هذه الدراسة أن الحزن على رحيل (شوقي) لم يكن حزنا عاديا؛ ولعل ذلك كان مستمدا من شخصية شوقي الغير عادية والمؤثرة على جميع من حوله، لا سيما الشعراء والأدباء فكان جزعهم أشد وأنكي، فتصوروا الكون كله يبكى عليه، ومن ثم لاحظنا الصور الشعرية تتسم بالمبالغة .

٢- جل المعانى التي جاءت في حديث الشعراء عن شعر (أحمد شوقي) أثناء رثائهم له، كانت مكررة في معظم قصائدهم، وهذا إن دل فإنما يدل على أنهم كانوا يرونه رمزا لهم جميعا .

٣- جعلوا من مراثيهم مصدر حياة حيث تحدثوا عن الحياة المنبعثة من أعماله الشعرية، فإذا كان شوقي مات وولى فأعماله الشعرية شاهدة عليه، فأحيت ذكراه كما أحيت أعماله المسرحية قصصا كانت في التاريخ الغابر ، ليس هذا فحسب بل أحيت تلك الأعمال أبطال هذه المسرحيات، كما خلدت أعماله تلك أمته العربية بعبقها على مر الأيام والسنين .

٤- كما حاول هؤلاء الشعراء إثبات سعى شوقي للتجديد، وذلك للقفز على تلك المحاولة، والانطلاق نحو التجديد لكن تحت مظلة أمير الشعراء، وتلك كانت فكرة الإتيان به رئيسا لمجلة أبولو، ولكن القدر لم يمهله قليلا، فأخذوا يشيرون إلى ذلك في رثائهم له، ويحطمون القيود بعض الشيء كما حدث في قصيدة (مأتم الطبيعة) لمحمود حسن إسماعيل، وقصيدة (موت الشاعر) لعبد الغنى الكبثى .

٥- من الواضح أن الشعراء الباكين على شوقي قد أمعنوا النظر في أعمال أحمد شوقي وأطالوا النظر فيها كثيرا، كما أطالوه في كل ما كتب عن (شوقي) في حياته، وآراء النقاد فيه؛ لذا أرى أن هذه البكائيات تعد بمثابة نقد النقد .

كما أفصحت الدراسة عن ابتكار الشعراء الراثين لشوقي في معجمهم الشعرى أثناء حديثهم عن شعره، وتعد هذه إضافة للدراسات الأدبية والشعرية، وإثراء لها .

هذا وبالله التوفيق ومنه وحده العون والسداد، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور / حامد سعد على خضرجى جاويش
مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

المصادر والمراجع

١. الأدب المقارن –إعداد ونشر جامعة المدينة العالمية–إعداد ونشر جامعة المدينة العالمية –د.ت .
٢. تحولات شعرية –د /جابر عصفور–الهيئة المصرية العامة للكتاب– عام ٢٠٠٧م.
٣. دموع الشعراء على الراحل باكثير بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق للدكتور مصطفى مطاوع –العدد الخامس عشر–الجزء السابع عام ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.
٤. ديوان الشوقيات– لأحمد شوقي – دار العودة بيروت عام ١٩٨٨م – المجلد الثانى–الجزء الثانى.
٥. ديوان على الجارم – الطبعة الأولى، والثانية: ١٩٨٦م – ١٩٩٠م– دارالشروق.
٦. ديوان محمد عبد المطلب –شرح وتصحيح / إبراهيم الإبيارى–وعبد الحفيظ شلبي الطبعة الأولى د. ت–مطبعة الاعتماد
٧. شرح ديوان الحماسة –لأبى الفرج الأصفهاني، ت– غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٢م
٨. شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في العصر الأموي د/ محمد أبو المجد على –طبعة دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م
٩. شعر شوقي في ميزان النقد، تأليف / محمد مصطفى المجذوب – الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – الطبعة السابعة، العدد الرابع – ربيع الأخر: ١٣٩٥ إبريل – ١٩٧٥م
١٠. الشعر وهموم الإنسان المعاصر د/ إخلاص عمارة –الطبع الأولى ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م، مكتبة الآداب – القاهرة.

١١. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال تأليف –محمد حسين المهدي – دار الكتب –عام ٢٠٠٩ م
١٢. العمدة لابن رشيق القيرواني، ت –محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت– الطبعة الخامسة – عام ١٩٨١م.
١٣. عن بناء القصيد العربي الحديثة د/ على عشري زايد –الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م، مكتبة الشباب– القاهرة.
١٤. مجلة أبولو العدد الخامس المجلد الأول
١٥. ملامح التشكيل الإيقاعي في شعر عبد الرحمن صالح العشماوى– دراسة في ديوان (القدس أنت) د/ ياسر عكاشة حامد مصطفى–بحث مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامي والعربية للبنات بالمنصورة – العدد العشرون–الجزء الثاني
١٦. نشرة محمد أبو صوفة – موقع الرأي–بتاريخ: ٣– ٥– ٢٠١٧م
١٧. النقد العربى القديم بين الرؤية والتنظرية والتطبيقية د/ جميل عبد الغنى محمد على ص: ١٧٢ط ١ عام ٢٠٠٠م.
١٨. وطنية شوقي– دراسة أدبية تاريخية مقارنة– د / أحمد الحوفى الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة: ١٩٧٨م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تمهيد: فاجعة موت شوقي:	٦٤٦٩
أبولو ورثاء شوقي:	٦٤٧٠
أهم المراثى التي رثى بها شوقي:	٦٤٧١
حديث الشعراء عن موهبة شوقي الشعرية:	٦٤٧٧
حديث الشعراء عن القضايا الموضوعية والآثار الفكرية في شعر شوقي:	٦٤٩٠
حديث الشعراء عن الخصائص الفنية في شعر شوقي:	٦٥٠٣
أولا: المعجم الشعرى:	٦٥١٢
ثانياً: أهم الظواهر الأسلوبية: التكرار.	٦٥١٦
نداء شوقي وخطابه.	٦٥٢١
سيميائية العناوين:	٦٥٢٤
ثالثا: الصورة الشعرية:	٦٥٢٦
رابعاً: كلمة في الإيقاع:	٦٥٣٢
خاتمة البحث	٦٥٣٥
المصادر والمراجع	٦٥٣٧
فهرس الموضوعات	٦٥٣٩